

****

**قطوف مختارة**

**من تفسير سورة البقرة**

**الجزء الثاني – الآيات 126 - 199**

الدكتور

شاذل رشان

الموصل - العراق

الإصدار الأول

1438هـ - 2016م

# القسم السابع والثلاثون: الآية 126-129

**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)**

* يُزَكِّيهِمْ: يطهّرهم.
* الْعَزِيزُ: الغالب في نفسك.
* قواعد البيت: أساسه.
* مُسْلِمَيْنِ لَكَ: منقادين خاضعين مخلصين لك.
* الْحَكِيمُ: الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه المصلحة.
* مَناسِكَنا: أي متعبّداتنا، واحدها منسك ومنسك. وأصل النّسك من الذّبح، يقال: نسكت: أي ذبحت. والنّسيكة: الذّبيحة المتقرّب بها إلى الله عزّ وجلّ، ثم اتّسعوا فيه حتى جعلوها موضع العبادة.
* وَالْحِكْمَةَ: هو اسم للعقل، وإنما سمي حكمة لأنه يمنع صاحبه من الجهل، ومنه حكمة الدّابّة لأنها تردّ من غربها وإفسادها وقيل: هو القرآن. وقيل: الفقه. وقيل: السنة. وقيل: الحكم والقضاء.
* الاضطرار: افتعال من الضّرورة وهو فعل ما لا يتهيأ له الامتناع منه.
* الْمَصِيرُ: المرجع.
* وجوب تعلم مناسك الحج والعمرة على من أراد أن يحج أو يعتمر([[1]](#footnote-1)).
* ﴿ وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ﴾:﴿ بَلَداً آمِناً﴾ يَعْنِي مَكَّةَ، فَدَعَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذُرِّيَّتِهِ وَغَيْرِهِمْ بِالْأَمْنِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ، ولَمْ تَزَلْ حَرَمًا مِنَ الْجَبَابِرَةِ الْمُسَلَّطِينَ، وَمِنَ الْخُسُوفِ وَالزَّلَازِلِ، وَسَائِرِ الْمَثُلَاتِ الَّتِي تَحِلُّ بِالْبِلَادِ، وَجَعَلَ فِي النُّفُوسِ الْمُتَمَرِّدَةِ مِنْ تَعْظِيمِهَا وَالْهَيْبَةِ لَهَا مَا صَارَ بِهِ أَهْلُهَا مُتَمَيِّزِينَ بِالْأَمْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى([[2]](#footnote-2)).
* التنويه بفضل إبراهيم، لأن قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ﴾ سبق أنها على تقدير: واذكر إذ قال، ولولا أن هذا أمر يستحق التنويه، والإعلام ما أمر به([[3]](#footnote-3)).
* بركة دعوة إبراهيم لأهل مكة، واستجابة الله تعالى له دعوته فلله الحمد والمنة([[4]](#footnote-4)).
* أنه لا غنى للإنسان عن دعاء الله مهما كانت مرتبته، فلا أحد يستغني عن الدعاء أبداً، لقوله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ... ﴾ إلخ([[5]](#footnote-5)).
* رأفة إبراهيم بمن يؤم هذا البيت، لأن جعل البيت آمناً يتضمن الإرفاق بمن أمّه من الناس.
* كان البلد مكانا قفرا، فطلب منه أن يجعله بلدا آمنا([[6]](#footnote-6)).
* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ أَنَّ رسول الله قال: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ ([[7]](#footnote-7)).
* رأفة إبراهيم أيضاً، حيث سأل الله أن يرزق أهله من الثمرات، لقوله تعالى: ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾([[8]](#footnote-8)).
* الكافر لا يحرم الرزق لكفره بل له الحق في الحياة إلا أن يحارب فيقتل أو يسلم([[9]](#footnote-9)).
* رزق الله شامل للمؤمن، والكافر، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ﴾، فالرزق عام شامل للمؤمن، والكافر، بل للإنسان، والحيوان، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ ([[10]](#footnote-10)).
* عن ابْنِ عَبَّاسٍ: دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَنْ آمَنَ دُونَ النَّاسِ خَاصَّةً، فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَرْزُقُ مَنْ كَفَرَ كَمَا يَرْزُقُ مَنْ آمَنَ، وَأَنَّهُ يُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ يَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ([[11]](#footnote-11)).
* يجب علينا أن نتخذ من هذا الوقت القصير عملاً كثيراً ينفعنا في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ﴾، والعمل اليسير ــــ ولله الحمد ــــ يثمر ثمرات كثيرة في الآخرة يضاعف بعشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة([[12]](#footnote-12)).
* وجوب طلب تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح، وتهذيب الأخلاق بالعلم والحكمة([[13]](#footnote-13)).
* ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الثناء على النار بهذا الذم، وأنها بئس المصير، فكل إنسان يسمع هذا من كلام الله عزّ وجلّ سوف ينفر من هذه النار، ولا يعمل عمل أهلها([[14]](#footnote-14)).
* فضل عمارة الكعبة، لأن الله تعالى أمر نبيه أن يذكر هذه الحادثة، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ... ﴾ إلخ.
* فضل إبراهيم، وإسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، حيث قاما برفع هذه القواعد.
* من إحكام البناء أن يؤسس على قواعد، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾، وإذا بني على غير قاعدة فإنه ينهار.
* جواز المعاونة في أفعال الخير.
* في هذه الآيات الثلاث توسل إبراهيم وإسماعيل بأسمائه تعالى وصفاته في قبول الدعاء: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾،﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾([[15]](#footnote-15)).
* ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾، أهمية القبول، وأن المدار في الحقيقة عليه، وليس على العمل، فكم من إنسان عمل أعمالاً كثيرة وليس له من عمله إلا التعب، فلم تنفعه، وكم من إنسان عمل أعمالاً قليلة قبلت فنفعه الله بها، ولهذا جاء في الحديث: «رب صائم حظه من صيامه الجوع، والظمأ، ورب قائم حظه من قيامه السهر» ([[16]](#footnote-16)).
* إثبات السمع لله عزّ وجلّ([[17]](#footnote-17))، لقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.
* إثبات العلم لله ــــ تبارك وتعالى، لقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، جملةً، وتفصيلاً، موجوداً، أو معدوماً، ممكناً، أو واجباً، أو مستحيلاً ([[18]](#footnote-18)).
* الدعاء يكون باسم «الرب»، لأن إجابة الدعاء من شأن الربوبية، لأنها خَلْق، وإيجاد.
* شدة افتقار الإنسان إلى ربه، حيث كرر كلمة: ﴿ رَبَّنَا ﴾، وأنه بحاجة إلى ربوبية الله الخاصة التي تقتضي عناية خاصة([[19]](#footnote-19)).
* الإنسان مفتقر إلى تثبيت الله، وإلا هلك، لقوله تعالى: ﴿ مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾، فإنهما مسلمان بلا شك: فهما نبيَّان، ولكن لا يدوم هذا الإسلام إلا بتوفيق الله، قال الله سبحانه وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾([[20]](#footnote-20)).
* أهمية الإخلاص، لقوله تعالى: ﴿ مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾: ﴿لَكَ﴾ تدل على إخلاص الإسلام لله عزّ وجلّ ([[21]](#footnote-21)).
* ينبغي للإنسان أن يشمل ذريته في الدعاء، لأن الذرية الصالحة من آثار الإنسان الصالحة، لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾، وقال إبراهيم في آية أخرى: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾([[22]](#footnote-22))، فالذرية صلاحها لها شأن كبير بالنسبة للإنسان([[23]](#footnote-23)).
* الأصل في الإنسان الجهل، لقوله تعالى: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يعني: أعلمنا بها.
* ﴿ مَناسِكَنا ﴾ أَصْلَ النُّسُكِ فِي اللُّغَةِ الْغَسْلُ، يُقَالُ مِنْهُ: نَسَكَ ثَوْبَهُ إِذَا غَسَلَهُ. وَهُوَ فِي الشَّرْعِ اسْمٌ لِلْعِبَادَةِ، يُقَالُ: رَجُلٌ نَاسِكٌ إِذَا كَانَ عَابِدًا. والْمُرَادِ بِالْمَنَاسِكِ هُنَا: كُلُّ مَا يُتَعَبَّدُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى([[24]](#footnote-24)).
* الأصل في العبادات أنها توقيفية ــــ يعني: الإنسان لا يتعبد لله بشيء إلا بما شرع ــــ، لقوله تعالى: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾([[25]](#footnote-25)).
* افتقار كل إنسان إلى توبة الله، لقوله تعالى: ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا﴾، إذ لا يخلو الإنسان من تقصير.
* قَال إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ﴿ وَتُبْ عَلَيْنا ﴾ وَهُمْ أَنْبِيَاءٌ مَعْصُومُونَ، طَلَبَا التَّثْبِيتِ وَالدَّوَامِ، لَا أَنَّهُمَا كَانَ لَهُمَا ذَنْبٌ. وهما لَمَّا عَرَفَا الْمَنَاسِكَ وَبَنَيَا الْبَيْتَ أَرَادَا أَنْ يُبَيِّنَا لِلنَّاسِ وَيُعَرِّفَاهُمْ أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ وَتِلْكَ الْمَوَاضِعَ مَكَانَ التَّنَصُّلِ مِنَ الذُّنُوبِ وَطَلَبِ التَّوْبَةِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى وَتُبْ عَلَى الظَّلَمَةِ مِنَّا([[26]](#footnote-26)).
* التوسل بأسماء الله يكون باسم مطابق لما دعا به، لقوله تعالى: ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، ولقوله تعالى﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾([[27]](#footnote-27)).
* إن كون الرسول منهم أقرب إلى قبول دعوته، لقوله تعالى: ﴿ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾، لأنهم يعرفونه، كما قال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾([[28]](#footnote-28))، حيث أضافه إليهم، يعني: صاحبكم ــــ الذي تعرفونه، وتعرفون رجاحة عقله، وتعرفون أمانته ــــ ما ضل، وما غوى.
* ﴿ الْحِكْمَةُ ﴾ السُّنَّةُ وَبَيَانُ الشَّرَائِعِ. وَنُسِبَ التَّعْلِيمُ إِلَى النَّبِيِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ يُعْطِي الْأُمُورَ الَّتِي يُنْظَرُ فِيهَا، وَيَعْلَمُ طَرِيقَ النَّظَرِ بِمَا يُلْقِيهِ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ([[29]](#footnote-29)).

# القسم الثامن والثلاثون: الآية 130-132

**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132)**

* لَمِنَ الصَّالِحِينَ أي لمن الفائزين.
* مِلَّةِ إِبْراهِيمَ: دينه.
* سَفِهَ نَفْسَهُ: يعني خسر.
* الدُّنْيا: تأنيث أدنى، وهو القرب، سميت بذلك لدنوّها وسبقها الآخرة.
* يَرْغَبُ عَنْ: يُعرض وينصرف ويكره.
* اصْطَفَيْنَاهُ: اخترناه لرسالتنا.
* أَسْلَمَ: أخلص العبادة لله، وخضع وتذلل وانقاد له.
* اصْطَفَى: اختار.
* الدِّينَ: دين الإسلام.
* المخالفين للرسل سفهاء، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾، وقوله في المنافقين: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾([[30]](#footnote-30)).
* ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ ﴾ يَزْهَدُ فِيهَا وَيَنْأَى بِنَفْسِهِ عَنْهَا، أَيْ عَنِ الْمِلَّةِ وَهِيَ الدِّينُ وَالشَّرْعُ([[31]](#footnote-31)).
* الرشد في اتباع ملة إبراهيم، لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾([[32]](#footnote-32)).
* ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ بِمَعْنَى جَهِلَ، أَيْ جَهِلَ أَمْرَ نَفْسِهِ فَلَمْ يُفَكِّرْ فِيهَا([[33]](#footnote-33)).
* مخالفة هذه الملة سفه، مهما كان الإنسان حكيماً في قوله فإنه يعتبر سفيهاً إذا لم يلتزم بشريعة الله([[34]](#footnote-34)).
* ﴿ وَلَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا ﴾ أَيِ اخْتَرْنَاهُ لِلرِّسَالَةِ فَجَعَلْنَاهُ صَافِيًا مِنَ الْأَدْنَاسِ وَاللَّفْظُ مُشْتَقٌّ مِنَ الصَّفْوَةِ، وَمَعْنَاهُ تَخَيُّرُ الْأَصْفَى([[35]](#footnote-35)).
* فضيلة إبراهيم ــــ عليه الصلاة والسلام ــــ، حيث اصطفاه الله، واختاره على العالمين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ﴾([[36]](#footnote-36)).
* الصلاح وصف للأنبياء، ومن دونهم، فيوصف النبي بأنه صالح، ويوصف متبع الرسول بأنه صالح، ولهذا كانت الأنبياء ــــ عليهم الصلاة والسلام ــــ يحيون الرسول ليلة المعراج بقولهم: «مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح» ([[37]](#footnote-37))فوصفوه بالصلاح.
* ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الصَّالِحُ فِي الْآخِرَةِ هُوَ الْفَائِزُ([[38]](#footnote-38)).
* المراد بمادة «َأسْلِمْ» في هذه الآيات الخضوع والإذعان، وقوله تعالى: مُسْلِمَيْنِ لَكَ مخلصين لك وجهينا، وهو من قوله تعالى: أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ. أي: أخلص وجهه وأذعن وخضع. ومن هنا كانت كلمة «الإسلام» بمصطلحها المعلوم مشيرة إلى أن «المسلم» من أسلم وجهه لربه، وخضع وأذعن وأطاع.
* فضيلة إبراهيم حيث لم يتوانَ، ولم يستكبر، فبادَر بقوله: ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حين قال له ربه عزّ وجلّ: ﴿أَسْلِمْ﴾ ولم يستكبر، بل أقر، لأنه مربوب لرب العالمين([[39]](#footnote-39)).
* المناسبة بين قوله تعالى: ﴿ أَسْلَمْتُ ﴾، و ﴿رَبِّ﴾، كأن هذا علة لقوله تعالى: ﴿ أَسْلَمْتُ ﴾، فإن الرب هو الذي يستحق أن يُسْلَم له، الرب: الخالق، ولهذا أنكر الله سبحانه وتعالى عبادة الأصنام، وبيّن علة ذلك بأنهم لا يخلقون، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ ([[40]](#footnote-40)).
* ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ هذه الآية وصية قرآنية نزلت في رعاية الأسرة([[41]](#footnote-41)).
* ﴿ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ الْزَمُوا الْإِسْلَامَ وَدُومُوا عليه ولا تفارقوه حَتَّى، تَمُوتُوا. فَأَتَى بِلَفْظٍ مُوجِزٍ يَتَضَمَّنُ الْمَقْصُودَ، وَيَتَضَمَّنُ وَعْظًا وَتَذْكِيرًا بِالْمَوْتِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرْءَ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ يَمُوتُ وَلَا يَدْرِي مَتَى، فَإِذَا أُمِرَ بِأَمْرٍ لَا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ إِلَّا وَهُوَ عَلَيْهِ، فَقَدْ تَوَجَّهَ الْخِطَابُ مِنْ وَقْتِ الْأَمْرِ دائبا لازما([[42]](#footnote-42)).

# القسم التاسع والثلاثون: الآية 133-134

**أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)**

* شُهَدَاءَ: حاضرين.
* أُمَّةٌ: جماعة.
* خَلَتْ: مضت وذهبت.
* لَهَا مَا كَسَبَتْ: جزاء ما عملت.
* كنّى بالموت عن مقدماته لأنه إِذا حضر الموت نفسُه لا يقول المحتضر شيئاً، وفي قوله ﴿ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ كناية غريبة وهو أنه غائب ولا بدّ أن يقدم ولذلك يقال في الدعاء: واجعل الموت خير غائب ننتظره ([[43]](#footnote-43)).
* الموت حق حتى على الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ ([[44]](#footnote-44)).
* جواز الوصية عند حضور الأجل، لقوله تعالى: ﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ ﴾، وهذا كالوصية لهم، ولكنه يشترط أن يكون الموصي يعي ما يقول، فإن كان لا يعي ما يقول فإنه لا تصح وصيته([[45]](#footnote-45)).
* قوله: ﴿آبَائِكَ﴾ شمل العم والأب والجد، فالجد إبراهيم والعم إِسماعيل والأب إِسحاق([[46]](#footnote-46)).
* أبناء يعقوب كانوا على التوحيد، حيث قالوا: ﴿ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ﴾، وهذا لا شك توحيد منهم.
* التوحيد وصية الأنبياء، لقوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ﴾.
* أهمية التوحيد، والعناية به، لقوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾.
* العبادة والألوهية معناهما واحد، لكن العبادة باعتبار العابد، والألوهية باعتبار المعبود، ولهذا كان أهل العلم يسمون التوحيد توحيد العبادة، وبعضهم يقول: توحيد الألوهية.
* النفوس مجبولة على اتباع الآباء، لكن إن كان على حق فهو حق، وإن كان على باطل فهو باطل، لقولهم: ﴿ وَإِلَهَ آبَائِكَ ﴾، ولهذا الذين حضروا وفاة أبي طالب قالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب.
* إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾([[47]](#footnote-47)).
* ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ مِثْلُهُ، يُرِيدُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ يُضَافُ إِلَيْهِ أَعْمَالٌ وَأَكْسَابٌ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَقْدَرَهُ عَلَى ذَلِكَ، إِنْ كَانَ خَيْرًا فَبِفَضْلِهِ وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَبِعَدْلِهِ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ. فَالْعَبْدُ مُكْتَسِبٌ لِأَفْعَالِهِ، عَلَى مَعْنَى: أَنَّهُ خُلِقَتْ لَهُ قُدْرَةً مُقَارِنَةً لِلْفِعْلِ، يُدْرِكُ بِهَا الْفَرْقَ بَيْنَ حَرَكَةِ الِاخْتِيَارِ وَحَرَكَةِ الرَّعْشَةِ مَثَلًا، وذلك التمكن هو مناط التكليف. وقالت الْجَبْرِيَّةُ بِنَفْيِ اكْتِسَابِ الْعَبْدِ، وَإِنَّهُ كَالنَّبَاتِ الَّذِي تَصْرِفُهُ الرِّيَاحُ. وَقَالَتِ الْقَدَرِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ خِلَافَ هَذَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ([[48]](#footnote-48)).
* الاعتماد على أعمال الآباء لا يجدي شيئاً، لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ... ﴾ الآية، يعني هم مضوا، وأسلموا لله، وأنتم أيها اليهود الموجودون في عهد الرسول عليكم أن تنظروا ماذا كسبتم لأنفسكم([[49]](#footnote-49)).
* الإشارة إلى أنه ينبغي لنا أن نسكت عما جرى بين الصحابة، لأنا نقول كما قال الله لهؤلاء: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ فنحن معنيون الآن بأنفسنا، ويُذكر عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ــــ رحمه الله ــــ أنه سئل عما جرى بين الصحابة، فقال لهم: «هذه دماء طهر الله سيوفنا منها، فنحن نطهر ألسنتنا منها»، هذه كلمة عظيمة، فعلى هذا النزاع فيما جرى بين معاوية، وعلي بن أبي طالب، وعائشة، وما أشبه ذلك لا محل له، لكن الذي يجب أن نعتني به حاضر الأمة، هذا الذي يجب أن يبين فيه الحق، ويبطَل فيه الباطل، ونقول:

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾. ([[50]](#footnote-50))

* الإنسان وعملَه، لقوله تعالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾فلا أحد يعطى من عمل أحد، ولا يؤخذ منه، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾([[51]](#footnote-51)).
* ﴿ وَلا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أَيْ لَا يُؤَاخَذُ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ([[52]](#footnote-52)).
* إثبات عدل الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يؤاخذ أحداً بما لم يعمله، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.
* ﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ نفي السؤال عن عمل الغير، ومفهومها: ثبوت السؤال عن عمل العامل، وأنه مسؤول عن العمل([[53]](#footnote-53)).

# القسم الاربعون: الآية 135-138

**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)**

* الحنيف: من كان على دين إبراهيم .
* الْأَسْبَاطِ: أولاد سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام، وأحفاده.
* صِبْغَةَ اللهِ: دين الله الذي فطرنا عليه.
* شِقاقٍ: عداوة ومباينة وقيل: مباينة واختلاف.
* عابدون: خاضعون أذلّاء، من قولهم معبّد، أي مذلّل قد أثّر الناس فيه.
* الكفر برسول، كفر بكل الرسل فقد كفر اليهود بعيسى، وكفر النصارى بمحمد فأصبحوا بذلك كافرين، وآمن المسلمون بكل الرسل فأصبحوا بذلك مؤمنين([[54]](#footnote-54)).
* أهل الباطل يدْعون إلى ضلالهم، ويدَّعون فيه الخير، ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ هذه دعوة إلى ضلال، ﴿ تَهْتَدُوا ﴾: ادعاء أن ذلك خير.
* مقابلة الباطل بالحق، لقوله تعالى: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾، إذ لابد للإنسان من أن يسير على طريق، لكن هل هو حق، أو باطل؟! بين الله أن كل ما خالف الحق فهو باطل في قوله تعالى: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾([[55]](#footnote-55)).
* الشرك ممتنع في حق الأنبياء، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.
* الذين يؤمنون بوجود الله لكن يشركون معه غيره في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته لم يكونوا مؤمنين([[56]](#footnote-56)).
* الكتب التي أوتيها الرسل قد نزلت من عند الله، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾،ولقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ ([[57]](#footnote-57)).
* الإشارة إلى البداءة بالأهم ــــ وإن كان متأخراً، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ مع أن ما أنزل إلينا متأخر عما سبق([[58]](#footnote-58)).
* يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، على حد سواء في أصل الإيمان، وأما الشرائع فلكلٍّ منهم جعل الله شرعة ومنهاجاً، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ([[59]](#footnote-59)).
* ﴿ وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ ﴾ وَالْأَسْبَاطُ: وَلَدُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا، وُلِدَ لِكُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، وَاحِدُهُمْ سِبْطٌ. وَالسِّبْطُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَنْزِلَةِ الْقَبِيلَةِ فِي وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ. وَسُمُّوا الْأَسْبَاطَ مِنَ السَّبْطِ وَهُوَ التَّتَابُعُ، فَهُمْ جَمَاعَةٌ مُتَتَابِعُونَ([[60]](#footnote-60)).
* الْأَسْباطِ في بني يعقوب كالقبائل في بني إسماعيل. واحدهم سبط، وهم اثنا عشر سبطا من اثني عشر ولدا ليعقوب. وإنما سمّي هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق([[61]](#footnote-61))*.*
* الإسلام لا بد أن يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، لإطلاقه في قوله تعالى: ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾، فيستسلم قلب المرء لله ــــ تبارك وتعالى ــــ محبة، وتعظيماً، وإجلالاً، ويستسلم لسانه لما أمره الله سبحانه وتعالى أن يقول، وتستسلم جوارحه لما أمره الله تعالى أن يفعل([[62]](#footnote-62)).
* ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ الْخِطَابُ لِمُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ. الْمَعْنَى: فَإِنْ آمَنُوا مِثْلَ إِيمَانِكُمْ، وَصَدَّقُوا مِثْلَ تَصْدِيقِكُمْ فَقَدِ اهْتَدَوْا، فَالْمُمَاثَلَةُ وَقَعَتْ بَيْنَ الْإِيمَانَيْنِ([[63]](#footnote-63)).
* كلمة﴿ مِثْلِ﴾ زائدة. معناه: فإن آمنوا بمن آمنتم به وهو الله تعالى، أو بما آمنتم به وهو دين الإسلام([[64]](#footnote-64)).
* ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أَيْ عَنِ الْإِيمَانِ﴿ فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ ﴾ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: الشِّقَاقُ الْمُنَازَعَةُ. وَقِيلَ: الشِّقَاقُ الْمُجَادَلَةُ وَالْمُخَالَفَةُ وَالتَّعَادِي. وَأَصْلُهُ مِنَ الشِّقِّ وَهُوَ الْجَانِبُ، فَكَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي شِقٍّ غَيْرِ شِقِّ صَاحِبِهِ.
* ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ أَيْ فَسَيَكْفِي اللَّهُ رَسُولَهُ عَدُوَّهُ. فَكَانَ هَذَا وَعْدًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَيَكْفِيهِ مَنْ عَانَدَهُ وَمَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْمُتَوَلِّينَ بِمَنْ يَهْدِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْجَزَ لَهُ الْوَعْدَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي قَتْلِ بَنِي قَيْنُقَاعَ وَبَنِي قُرَيْظَةَ وَإِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ([[65]](#footnote-65)).
* ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ سُمِّيَ الدِّينُ صِبْغَةً اسْتِعَارَةً وَمَجَازًا مِنْ حَيْثُ تَظْهَرُ أَعْمَالُهُ وَسِمَتُهُ عَلَى الْمُتَدَيِّنِ، كَمَا يَظْهَرُ أَثَرُ الصَّبْغِ فِي الثَّوْبِ([[66]](#footnote-66)).
* أن دين الله سبحانه وتعالى أحسن الأديان، وأكملها، وأشملها، وأقومها بمصالح العباد، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾ ([[67]](#footnote-67)).
* وجوب إخلاص العبادة لله، لقوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾، فقدم المعمول لإفادة الحصر، وعبادة الله فخر، وشرف للعبد، ولهذا جاء وصف العبودية في المقامات العليا لرسول الله فجاءت في مقام الدفاع عنه في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾([[68]](#footnote-68))، وفي مقام تكريمه بالإسراء في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ([[69]](#footnote-69))، وفي مقام رسالته، مثل قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾([[70]](#footnote-70)).
* من اسرار البيان تقديم السمع على العلم كقوله تعالى:﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾([[71]](#footnote-71))وقوله ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ([[72]](#footnote-72)) وذلك أنه خبر يتضمن التخويف والتهديد. فبدأ بالسمع لتعلقه بالأصوات وهمس الحركات فإن من سمع حسك وخفي صوتك أقرب إليك في العادة ممن يقال لك: إنه يعلم وإن كان علمه تعالى متعلقاً بما ظهر وبطن وواقعاً على ما قرب وشطن. ولكن ذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم فهو أولى بالتقديم. ويمكن أن يقال: إن السمع من وسائل العلم فهو يسبقه([[73]](#footnote-73)).

# القسم الحادي والأربعون: الآية 139-141

**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)**

* أَتُحَاجُّونَنا: أتجادلوننا، وقيل: أتخاصموننا.
* مُخْلِصُونَ: يقصدون بنيتهم وأعمالهم الله .
* خَلَتْ: ذهبت وانقضت.
* الإنكار على اليهود والنصارى الذين يحاجون المسلمين في الله مع إقرارهم بأنه ربهم، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ ([[74]](#footnote-74)).
* ﴿أَتُحَاجُّونَنا﴾ أَيْ أَتُجَاذِبُونَنَا الْحُجَّةَ عَلَى دَعْوَاكُمْ وَالرَّبُّ وَاحِدٌ، وَكُلٌّ مُجَازًى بِعَمَلِهِ، فَأَيُّ تَأْثِيرٍ لِقِدَمِ الدِّينِ([[75]](#footnote-75)).
* وجوب البراءة من أعمال الكفار، لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾، فإن المراد بذلك البراءة مما هم عليه([[76]](#footnote-76)).
* ﴿ فِي اللَّهِ"﴾ أَيْ فِي دِينِهِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ وَالْحَظْوَةِ لَهُ([[77]](#footnote-77)).
* ينبغي للمرء أن يفتخر بما هو عليه من الحق، لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ أي فنحن مفتخرون بها بريئون من أعمالكم([[78]](#footnote-78)).
* لا يجوز التشبه بأعداء الله، لأن المشابهة موافقة في العمل، لهذا قال النبي : «من تشبه بقوم فهو منهم» ([[79]](#footnote-79))، وهنا قال تعالى: ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾: فنحن متميزون عنكم، وأنتم متميزون عنا.
* ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ أَيْ مُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّوْبِيخِ، أَيْ وَلَمْ تُخْلِصُوا أَنْتُمْ فَكَيْفَ تَدَّعُونَ مَا نَحْنُ أَوْلَى بِهِ مِنْكُمْ!. وَالْإِخْلَاصُ حَقِيقَتُهُ تَصْفِيَةُ الْفِعْلِ عَنْ مُلَاحَظَةِ الْمَخْلُوقِينَ([[80]](#footnote-80)).
* إبطال دعوى هؤلاء اليهود، والنصارى أن إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، كانوا هوداً أو نصارى، فهذه الدعوى باطلة، بل وصفُ هؤلاء الإسلام، فإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط ليسوا هوداً، ولا نصارى، بل هم مسلمون لله سبحانه وتعالى([[81]](#footnote-81)).
* ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ تَقُولُونَ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا عَلَى دِينِكُمْ([[82]](#footnote-82)).
* رد علم هذه الأشياء إلى الله، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ ﴾([[83]](#footnote-83)).
* ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ تَقْرِيرٌ وَتَوْبِيخٌ فِي ادِّعَائِهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى. فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْكُمْ، أَيْ لَمْ يَكُونُوا هُودًا وَلَا نَصَارَى([[84]](#footnote-84)).
* الرد على أهل التحريف في أسماء الله، وصفاته الذين يقولون: «إن هذا جائز عقلاً على الله، فنقر به، وهذا يمتنع عقلاً على الله، فلا نقر به» ([[85]](#footnote-85)).
* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لَفْظُهُ الِاسْتِفْهَامُ، وَالْمَعْنَى: لَا أحد أظلم.﴿مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً﴾ يُرِيدُ عِلْمَهُمْ بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ([[86]](#footnote-86)).
* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها، وأظهروا ضدها، جمعوا بين كتم الحق، وعدم النطق به، وإظهار الباطل، والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظلم؟ بلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة([[87]](#footnote-87)).
* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانُوا يَقْرَؤُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الذِي أَتَاهُمْ: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلامُ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا بُرَآءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، فشهِد اللَّهُ بِذَلِكَ، وَأَقَرُّوا بِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِلَّهِ، فَكَتَمُوا شَهَادَةَ الله عندهم من ذلك([[88]](#footnote-88)).
* عظم كتم العلم، لقوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾ ([[89]](#footnote-89)).
* ﴿وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وَعِيدٌ وَإِعْلَامٌ بِأَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ أَمْرَهُمْ سُدًى وَأَنَّهُ يُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ([[90]](#footnote-90)).
* كمال علم الله ومراقبته لعباده، لقوله تعالى﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ([[91]](#footnote-91)).
* الْغَافِلُ: الَّذِي لَا يَفْطِنُ لِلْأُمُورِ إِهْمَالًا مِنْهُ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَرْضِ الْغُفْلِ وَهِيَ الَّتِي لَا عِلْمَ بِهَا وَلَا أَثَرَ عُمَارَةٍ. وَنَاقَةٌ غُفْلٌ: لَا سِمَةَ بِهَا. وَرَجُلٌ غُفْلٌ: لَمْ يُجَرِّبِ الْأُمُورَ([[92]](#footnote-92)).
* ثبوت الصفات المنفية، وهي ما نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾، فإن هذه صفة منفية، وليست ثبوتية، والصفات المنفية متضمنة لإثبات كمال ضدها، فلكمال مراقبته، وعلمه سبحانه وتعالى ليس بغافل عما نعمل([[93]](#footnote-93)).
* ﴿ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فِيهِ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ شَدِيدٌ، أَيْ: أَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِعَمَلِكُمْ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهِ.
* ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كَرَّرَهَا لِأَنَّهَا تَضَمَّنَتْ مَعْنَى التَّهْدِيدِ وَالتَّخْوِيفِ، أَيْ إِذَا كَانَ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى إِمَامَتِهِمْ وَفَضْلِهِمْ يُجَازَوْنَ بِكَسْبِهِمْ فَأَنْتُمْ أَحْرَى، فوجب التأكيد، فلذلك كررها([[94]](#footnote-94)).
* ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ المعول عليه ما اتصف به الإنسان، لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المجرد للرجال([[95]](#footnote-95)).
* إضافة العمل إلى العامل، ففيه رد على الجبرية الذين يقولون: «إن الإنسان مجبر على عمله»، لقوله تعالى: ﴿ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ([[96]](#footnote-96)).

# القسم الثاني والأربعون: الآية 142-143

**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)**

* السُّفَهَاءُ: السفه: الخفة في العقل الذي يؤدي إلى الطيش والجهل.
* وَلَّاهُمْ: صرفهم.
* قِبْلَتِهِمُ: الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة.
* أُمَّةً وَسَطًا: متوسطين معتدلين.
* الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا: التوجه إلى بيت المقدس.
* يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ: يرتد عن الإسلام إلى الكفر.
* تحقق وقوع خبر الله عزّ وجلّ، لأنهم قالوا ذلك([[97]](#footnote-97)).
* علم الله بما سيكون لقوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾.
* ﴿مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ وهي استقبال بيت المقدس، أي: أيُّ شيء صرفهم عنه؟ وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه، وفضله وإحسانه([[98]](#footnote-98)).
* اعتراض اليهود على تحويل القبلة سفه وجهالة لأنه لا يعتمد على منطق سليم([[99]](#footnote-99)).
* تسلية النبي وأصحابه، حيث أخبر الله تعالى أنه لا يعترض عليه في ذلك إلا سفيه([[100]](#footnote-100)).
* ودلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله، إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول، والانقياد، والتسليم([[101]](#footnote-101)).
* إعلام المرء بما يتوقع أن يكون ليستعد له، ومن ذلك أن النبي لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب»، ليكون مستعداً([[102]](#footnote-102)).
* القبلة: الجهة. يقال: إلى أين قبلتك؟ أي إلى أين تتوجّه؟ وسمّيت القبلة قبلة لأن المصلّي يقابلها وتقابله ولذلك قيل: إنها مشتقّة من المقابلة([[103]](#footnote-103)).
* عموم ملك الله عزّ وجلّ، لقوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾، فهو المالك سبحانه وتعالى للجهات يُصرِّف إليها العباد كيف يشاء([[104]](#footnote-104)).
* ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: فإذا كان المشرق والمغرب ملكا لله، ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه، ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومنه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هي من ملة أبيكم إبراهيم، فلأي شيء يعترض المعترض بتوليتكم قبلة داخلة تحت ملك الله([[105]](#footnote-105)).
* الجهات كلّها لله تعالى خَلْقاً وملكاً فلا اعتراض عليه بالتحويل من جهة إلى أخرى([[106]](#footnote-106)).
* جواز تعليل الأحكام الشرعية بمقتضى الربوبية لإسكات الناس حتى لا يحصل منازعة ([[107]](#footnote-107)).
* إثبات مشيئة الله، لقوله تعالى: ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ([[108]](#footnote-108)).
* ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ والمطلق يحمل على المقيد، فإن الهداية والضلال، لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله، وقد أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية، التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾([[109]](#footnote-109)).
* الهداية بيد الله، لقوله تعالى: ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾، ومنها: أنْ هدَى هذه الأمة إلى القبلة التي يرضاها الرسول .
* الثناء على هذه الأمة، لأنها التي على صراط مستقيم، لأن أول من يدخل في قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هؤلاء الذين تولوا عن بيت المقدس إلى الكعبة([[110]](#footnote-110)).
* أفضلية أمة الإسلام على سائر الأمم لكونها أمة الوسط والوسطية شعارها لقوله تعالى: ﴿ وَسَطًا ﴾ ([[111]](#footnote-111)).
* ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى([[112]](#footnote-112)).
* إن هذه الأمة تشهد على الأمم يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ ([[113]](#footnote-113)).
* ﴿ولتكونوا شهداء على الناس﴾ يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه، فإنها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم، والشهادة، والفتيا، ونحو ذلك([[114]](#footnote-114)).
* الأمة المحمدية أفضل الأمم لذلك اختارها الله للشهادة على الخلائق يوم القيامة([[115]](#footnote-115)).
* إن نبينا يكون شهيداً علينا يوم القيامة ــــ شهيداً علينا بالعدالة، وقيل: شهيداً علينا بأنه بلغ البلاغ المبين ([[116]](#footnote-116)).
* إثبات رسالة النبي لقوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾([[117]](#footnote-117)).
* ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ وهي استقبال بيت المقدس أولا ([[118]](#footnote-118)).
* قد يمتحن الله سبحانه وتعالى العباد بالأحكام الشرعية إيجاباً، أو تحريماً، أو نسخاً، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾.
* أراد بالعلم في قوله ﴿لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ التمييز للعباد، كقوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ ([[119]](#footnote-119)) ([[120]](#footnote-120)).
* ﴿إِلا لِنَعْلَمَ﴾ أي: شرعنا تلك القبلة لنعلم ونمتحن([[121]](#footnote-121)).
* تحويل القبلة امتحانٌ لإيمان الناس ليتميّز المؤمن الصادق عن الفاجر المنافق([[122]](#footnote-122)).
* وجوب اتباع الرسول لقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾.
* ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر، ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة، أنه يستقبل الكعبة، فالمنصف الذي مقصوده الحق، مما يزيده ذلك إيمانا، وطاعة للرسول([[123]](#footnote-123)).
* إثبات علم الله، لقوله تعالى: ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾، وعلم الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء، كما قال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾([[124]](#footnote-124)).
* سمى الله مخالفة الرسول انقلاباً على العقب، لقوله تعالى: ﴿ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ ([[125]](#footnote-125)).
* وأما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق، واتبع هواه، فإنه يزداد كفرا إلى كفره، وحيرة إلى حيرته، ويدلي بالحجة الباطلة، المبنية على شبهة لا حقيقة لها([[126]](#footnote-126)).
* أن تغيير القبلة شاق إلا على طائفة معينة من الناس، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ ﴾.
* ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ أي: صرفك عنها ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقة ﴿إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم، وشكروا، وأقروا له بالإحسان، حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم، الذي فضله على سائر بقاع الأرض، وجعل قصده، ركنا من أركان الإسلام([[127]](#footnote-127)).
* أمر الله رسوله الكريم بالتوجه إلى البيت العتيق في الصلاة، بعد أن توجه إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وذلك لحكمة جليلة هي امتحان إيمان الناس، واختبار صدق يقينهم، ليظهر المؤمن الصادق، من الكاذب المنافق، وليعيد لهذه الأمة التي اختارها الله، قيادة ركب الإنسانية، بعد أن تخلت عنها ردحاً من الزمان كما قال تعالى: ﴿هُوَ اجتباكم وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدين مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المسلمين مِن قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرسول شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى الناس... ﴾([[128]](#footnote-128)).
* البيت العتيق الذي رفع قواعده أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، هو قبلة أهل الأرض، كما أنّ البيت المعمور قبلة أهل السماء يطوفون حوله يسبّحون بحمد الله([[129]](#footnote-129)).
* ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: ما ينبغي له ولا يليق به تعالى، بل هي من الممتنعات عليه، فأخبر أنه ممتنع عليه، ومستحيل، أن يضيع إيمانكم، وفي هذا بشارة عظيمة لمن مَنَّ الله عليهم بالإسلام والإيمان، بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه([[130]](#footnote-130)).
* سمى الله تعالى الصلاة «إيماناً» في قوله ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي صلاتكم لأن الإِيمان لا يتمُّ إِلا بها، ولأنها تشتمل على نيةٍ وقولٍ وعمل([[131]](#footnote-131)).
* ﴿لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ وحفظه نوعان: حفظ عن الضياع والبطلان، بعصمته لهم عن كل مفسد ومزيل له ومنقص من المحن المقلقة، والأهواء الصادة، وحفظ له بتنميته لهم، وتوفيقهم لما يزداد به إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأكم، بأن هداكم للإيمان، فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وتنمية أجره، وثوابه، وحفظه من كل مكدر، بل إذا وجدت المحن المقصود منها، تبيين المؤمن الصادق من الكاذب([[132]](#footnote-132)).
* إثبات عموم الرحمة لكل الناس، لقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾، وهذه هي الرحمة العامة التي بها يعيش الناس في دنياهم برزق الله من طعام، وشراب، وكسوة، وغيرها، وأما الرحمة الخاصة فهي للمؤمنين خاصة، وبها يحصل سعادة الدنيا، والآخرة، كالعلم والإيمان المثمرَين لطاعة الله، ورسوله([[133]](#footnote-133)).

# القسم الثالث والأربعون: الآية 144-145

**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)**

* تَقَلُّبَ وَجْهِكَ: تطلعك وتردد نظرك إلى جهة السماء مرة بعد مرة.
* فَلَنُوَلِّيَنَّكَ: فلنوجهنك.
* شَطْرَ: نحو وجهه.
* أَهْوَاءَهُمْ: جمع هوى، وهو ما تميل إليه نفوسهم.
* اقتضت حكمة الله أن يجمع (أمة التوحيد) على قبلةٍ واحدة، فأمر خليله إبراهيم عليه السلام أن يبني هذا البيت العتيق، ليكون مثابة للناس وأمناً، ومصدراً للإشعاع والنور الرباني، ومكاناً لحج بيته المعظم، يأتيه الناس من كل فج عميق﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسم الله في أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾([[134]](#footnote-134)).
* إثبات رؤية الله عزّ وجلّ، لقوله تعالى﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾([[135]](#footnote-135))
* يقول الله لنبيه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: كثرة تردده في جميع جهاته، شوقا وانتظارا لنزول الوحي باستقبال الكعبة([[136]](#footnote-136)).
* النظر إلى السماء ليس سوء أدب مع الله، لقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ لكن في الصلاة لا يرفع بصره إلى السماء، لورود الوعيد الشديد به([[137]](#footnote-137)).
* ﴿وَجْهكَ﴾ ولم يقل: "بصرك "لزيادة اهتمامه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر([[138]](#footnote-138)).
* أدب الرسول الله كان يمنعه من سؤال تحويل القبلة ولذلك أكرمه الله بما يرضى([[139]](#footnote-139)).
* إثبات عظمة الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً ﴾، فإن ضمير الجمع للتعظيم([[140]](#footnote-140)).
* الكعبة المشرفة قبلة أبي الأنبياء وقد جمع الله بها قلوب العباد([[141]](#footnote-141)).
* تَرْضَاهَا رضا المحبّة بالطبع، لا رضا التسليم والانقياد لأمر الله تعالى([[142]](#footnote-142)).
* ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ أطلق الوجه وأراد به الذات كقوله ﴿ويبقى وَجْهُ رَبِّكَ﴾([[143]](#footnote-143))، وهذا النوع يسمى «المجاز المرسل» من باب إِطلاق الجزء وإِرادة الكل([[144]](#footnote-144)).
* شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ: أي قصده ونحوه، أي تلقاءه، والتلقاء: النحو. وشطر الشيء: نصفه أيضا. ([[145]](#footnote-145))
* في التعبير عن الكعبة بالمسجد الحرام إِشارة إِلى أن الواجب مراعاة الجهة دون العين، لأن في إِصابة عين الكعبة من البعيد حرجاً عظيماً على الناس([[146]](#footnote-146)).
* الوجه أشرف الأعضاء حيث عبر به عن سائر الجسم([[147]](#footnote-147)).
* عظمة هذا المسجد لوصفه بالحرام - أي ذي الحرمة والتعظيم - ولهذا كان من يدخله آمناً.([[148]](#footnote-148))
* ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ أي: نوجهك لولايتنا إياك، ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ أي: تحبها، وهي الكعبة، وفي هذا بيان لفضله وشرفه صلى الله عليه وسلم، حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه، ثم صرح له باستقبالها فقال: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ والوجه: ما أقبل من بدن الإنسان([[149]](#footnote-149)).
* الكعبة المشرفة - زادها الله شرفاً وتعظيماً - هي رمز التوحيد - ومظهر الإيمان، وقبلة أبي الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن وحولها تلتقي أفئدة الملايين من المؤمنين لأنها مظهر وحدتهم، وسرّ اجتماع كلمتهم، فلا عجب أن يأمرهم الله تعالى بالتوجه إليها في صلاتهم، أينما كانوا في مشارق الأرض ومغاربها كما قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ... ﴾([[150]](#footnote-150)).
* وجوب الاتجاه إلى القبلة في أيّ مكان كان الإنسان: من بر، أو بحر، أو جو، لقوله تعالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾، ويشمل من كان في مكة، ومن كان بعيداً عنها، ومن كان في جوف الكعبة، لعموم قوله تعالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ ﴾.
* ﴿وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ﴾ أي: من بر وبحر، وشرق وغرب، جنوب وشمال([[151]](#footnote-151)).
* يسقط استقبال القبلة في مواضع، منها:

أـ عند صلاة النفل في سفر، فيصلي حيث كان وجهه.

ب ــــ عند الخوف الشديد إذا كان لا يمكن استقبال القبلة.

ج ــــ إذا كان عاجزاً عن استقبال القبلة لمرض ــــ أو صلب ــــ يعني: لو صلب إلى غير القبلة، أو نحو ذلك([[152]](#footnote-152)).

* مراعاة الشريعة اجتماع المسلمين على وجهة واحدة، لأنه تعالى قال: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ([[153]](#footnote-153)).
* ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أي: جهته. ففيها اشتراط استقبال الكعبة، للصلوات كلها، فرضها، ونفلها، وأنه إن أمكن استقبال عينها، وإلا فيكفي شطرها وجهتها، وأن الالتفات بالبدن، مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده([[154]](#footnote-154)).
* بيان عناد اليهود والنصارى، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾، ولكن مع ذلك شنعوا على النبي تشنيعاً عظيماً حين توجه إلى الكعبة بأمر ربه([[155]](#footnote-155)).
* أهل الكتاب يعلمون أن تحويل القبلة حق ولكنهم أرادوا فتنة المؤمنين([[156]](#footnote-156)).
* إن ما كان من عند الله فهو حق، لقوله تعالى: ﴿ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ مضافاً إلى الله: ﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ([[157]](#footnote-157)).
* ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها، وفيها وعيد للمعترضين، وتسلية للمؤمنين([[158]](#footnote-158)).
* انتفاء غفلة الله عزّ وجلّ عن أعمالهم المتضمن لكمال علمه، وإحاطته بهم، ولا يكفي أن نقول: انتفاء الغفلة فقط، بل نقول: المتضمن لكمال العلم، والإحاطة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾([[159]](#footnote-159)).
* ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ أي: بكل برهان ودليل يوضح قولك ويبين ما تدعو إليه([[160]](#footnote-160)).
* كان الرسول حريصاً على هداية الخلق، لأن قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ﴾ دليل على أنه كان يعرض الآيات، ويبين الحقائق، ولكن لا ينتفعون بها([[161]](#footnote-161)).
* ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ أي: ما تبعوك، لأن اتباع القبلة، دليل على اتباعه، ولأن السبب هو شأن القبلة، وإنما كان الأمر كذلك، لأنهم معاندون، عرفوا الحق وتركوه، فالآيات إنما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق، وهو مشتبه عليه، فتوضح له الآيات البينات، وأما من جزم بعدم اتباع الحق، فلا حيلة فيه([[162]](#footnote-162)).
* شدة عناد هؤلاء الذين أوتوا الكتاب، وأنهم مهما أوتوا من الآيات فإنهم لن ينصاعوا لها، ولن يتبعوها([[163]](#footnote-163)).
* ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ أبلغ من قوله: "وَلا تَتَّبِعْ "لأن ذلك يتضمن أنه صلى الله عليه وسلم اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع ذلك منه([[164]](#footnote-164)).
* ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إنما قال: "أهواءهم "ولم يقل "دينهم "لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ ([[165]](#footnote-165)).
* إن الذين أوتوا الكتاب لن يتبعوا قبلة الرسول وإذا كان كذلك فلن يتبعوا دينه، لأن القبلة بعض الدين، فمتى كفروا بها فهو كفر بالدين كله([[166]](#footnote-166)).
* الكعبة قبلة للمسلمين خاصة، لأنه تعالى أضاف استقبالها إليهم، ولكن الظاهر ــــ والله أعلم ــــ أن الكعبة قبلة لكل الأنبياء، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ ([[167]](#footnote-167))، وهكذا قال شيخ الإسلام: إن المسجد الحرام قبلة لكل الأنبياء، لكن أتباعهم من اليهود، والنصارى هم الذين بدلوا هذه القبلة([[168]](#footnote-168)).
* إذا وصل العبد الضعيف إلى مجلس الملك العظيم، فإنه لا بدّ أن يستقبله بوجهه، وألا يكون معرضاً عنه، وأن يبالغ في الثناء عليه بلسانه، ويبالغ في الخدمة والتضرع له، فاستقبال القبلة في الصلاة يجري مجرى كونه مستقلاً للملك لا معرضاً عنه، والقراءة والتسبيحات تجري مجرى الثناء عليه، والركوع والسجود يجري مجرى الخدمة([[169]](#footnote-169)).
* المقصود من الصلاة حضور القلب، وهذا الحضور لا يحصل إلا مع السكون وترك الالتفات والحركة، وهذا لا يتأتى إلا إذا بقي في جميع صلاته مستقبلاً لجهة واحدة على التعيين، فإذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف كان استقبال تلك الجهة أولى([[170]](#footnote-170)).
* يحب الله تعالى الألفة بين المؤمنين، وقد ذكر المنة بها عليهم حيث قال: ﴿واذكروا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ ([[171]](#footnote-171)) ولو توجّه كل واحد في صلاته إلى ناحية، لكان ذلك يوهم اختلافاً ظاهراً، فعيّن الله تعالى لهم جهة معلومة، وأمرهم جميعاً بالتوجه نحوها، ليحصل لهم الموافقة بسبب ذلك.
* خصْ الله تعالى الكعبة بإضافتها إليه في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾([[172]](#footnote-172)) وخصّ المؤمنين بإضافتهم بصفة العبودية إليه ﴿ياعبادي﴾([[173]](#footnote-173))، وكلتا الإضافتين للتخصيص والتكريم، فكأنه تعالى قال: يا مؤمن أنتَ عبدي، والكعبة بيتي، والصلاة خدمتي، فأقبلْ بوجهك في خدمتي إلى بيتي، وبقلبك إليّ..) ([[174]](#footnote-174)).
* يستحيل شرعاً أن يتبع المسلم طريقة اليهود، والنصارى، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾، وجه الاستحالة: أن الجملة جاءت بالاسمية المؤكدة بحرف الجر في سياق النفي([[175]](#footnote-175)).
* اليهود والنصارى لا يتبع بعضهم بعضاً، بل يضلل بعضهم بعضاً ([[176]](#footnote-176)).
* اتباع اليهود والنصارى اتباع للهوى لا للهدى، لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾.
* الإنسان قد يتابع غيره جهلاً، فلا يؤاخذ بالمخالفة إلا بعد قيام الحجة، لقوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾، ولا يعتبر من ﴿الظَّالِمِينَ ﴾ إلا لمن عرف الحق وخالفه([[177]](#footnote-177)).
* ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ أي: إن اتبعتهم،﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: داخل فيهم، ومندرج في جملتهم، وأي ظلم أعظم، من ظلم، من علم الحق والباطل، فآثر الباطل على الحق، وهذا، وإن كان الخطاب له صلى الله عليه وسلم، فإن أمته داخلة في ذلك([[178]](#footnote-178)).

# القسم الرابع والأربعون: الآية 146-150

**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)**

* يَكْتُمُونَ: يخفون.
* الْمُمْتَرِينَ: الشاكين المترددين.
* وِجْهَةٌ: قبلة.
* مُوَلِّيهَا: مائل إليها بوجهه.
* علماء أهل الكتاب المعاصرون للنبي يعرفون أنه النبي المبشر به معرفة تامة، وذلك كما جاء في كتبهم، كما قال الله ــــ تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ ([[179]](#footnote-179)).
* لا عذر ولا حجة لأهل الكتاب في إنكارهم رسالة النبي لأنهم أوتوا من وصفه ما يعرفونه به كما يعرفون أبناءهم.
* بيان أن تعلق الإنسان بالابن أقوى من تعلقه بالبنت، لقوله تعالى: ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾، فهو يعرف الابن أكثر مما يعرف البنت لقوة تعلقه به.
* الاحتراس في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ﴾، لأن كتمان الحق لم يكن من جميعهم، بل من فريق منهم، وطائفة أخرى لا تكتم الحق، فإن من النصارى من آمن، كالنجاشي، ومن اليهود ــــ كعبد الله بن سلام ــــ مَن آمن، ولم يكتم الحق([[180]](#footnote-180)).
* ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هذا الحق الذي هو أحق أن يسمى حقا من كل شيء، لما اشتمل عليه من المطالب العالية، والأوامر الحسنة، وتزكية النفوس وحثها على تحصيل مصالحها، ودفع مفاسدها، لصدوره من ربك، الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه تربية العقول والنفوس، وجميع المصالح([[181]](#footnote-181)).
* إن ما جاء من عند الله فهو حق، لقوله تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾.
* ما دام الحق من الله فإنه يجب أن يؤمن الإنسان به، وأن لا يلحقه في ذلك شك، ولا مرية([[182]](#footnote-182)).
* كل شيء خالف ما جاء عن الله فهو باطل، لقوله تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾([[183]](#footnote-183)).
* تقوية الرسول على ما هو عليه من الحق ــــ وإن كتمه أهل الكتاب ــــ لأن الإنسان بشر، لما أنكر هؤلاء الذين أوتوا الكتاب الحق قد يعتري الإنسان شيء من الشبهة ــــ وإن كان بعيداً، فبين الله سبحانه وتعالى أن ما جاء به هو الحق، لقوله تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ([[184]](#footnote-184)).
* عناية الله سبحانه وتعالى بالنبي بذكره بالربوبية الخاصة، لقوله تعالى: ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾.
* ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: فلا يحصل لك أدنى شك وريبة فيه، بل تفكَّر فيه وتأمل، حتى تصل بذلك إلى اليقين، لأن التفكر فيه لا محالة، دافع للشك، موصل لليقين([[185]](#footnote-185)).
* الشك ينافي الإيمان، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾.
* عناية الله سبحانه وتعالى بالرسول بالتثبيت، لأن قوله تعالى له: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾يقتضي ثباته عليه، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يقتضي استمراره على هذا الثبات، ولا شك أن في هذا من تأييد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتثبيته ما هو ظاهر([[186]](#footnote-186)).
* ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ٌ﴾ أي: كل أهل دين وملة، له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل، من جهة إلى جهة، ولكن الشأن كل الشأن، في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده([[187]](#footnote-187)).
* قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾ يشمل الوجهة الشرعية، والوجهة القدرية ([[188]](#footnote-188)).
* وجوب المسابقة إلى الخير، لقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾.
* ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج، عمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر([[189]](#footnote-189)).
* الأمر يقتضي الفورية، لأن الاستباق إلى الخير لا يكون إلا بالمبادرة إلى فعله، فهذه الآية مما يستدل به على أن الأمر المطلق للفورية.
* ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَات﴾ يشمل الاستباق إليها، والاستباق فيها، أي إذا وصلت إلى الخير فلا تقف، بل كن في نفس فعلك الخير مسابقاً، وهذا يشبهه قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فالمطلوب أن يصل الإنسان إلى الصراط، ويستمر فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ([[190]](#footnote-190)).
* عنَّ أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَجِّرِ إِلَى الصَّلَاةِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي الْبَدَنَةَ، ثُمَّ الَّذِي عَلَى إِثْرِهِ كَالَّذِي يُهْدِي الْبَقَرَةَ، ثُمَّ الَّذِي عَلَى إِثْرِهِ كَالَّذِي يُهْدِي الْكَبْشَ، ثُمَّ الَّذِي عَلَى إِثْرِهِ كَالَّذِي يُهْدِي الدَّجَاجَةَ، ثُمَّ الَّذِي عَلَى إِثْرِهِ كَالَّذِي يُهْدِي الْبَيْضَةَ"([[191]](#footnote-191)).
* إحاطة الله تعالى بالخلق أينما كانوا، لقوله تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا ﴾.
* ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله([[192]](#footnote-192)).
* الإشارة إلى البعث، لأن الإتيان بالجميع يكون يوم القيامة([[193]](#footnote-193)).
* إثبات عموم قدرة الله عزّ وجلّ، لقوله تعالى﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
* وجوب التوجه إلى المسجد الحرام أينما كان الإنسان، لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾.
* ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ في أسفارك وغيرها، وهذا للعموم، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: جهته([[194]](#footnote-194)).
* تكرار الأمر الهام لتثبيته، والثبات عليه، ودفع المعارضة فيه، لأنه كلما كرر كان مقتضاه أن الأمر ثابت محكم يجب الثبوت عليه، وكون المسلمين ينقلون من وجهة إلى وجهة في القبلة أمر هام له شأن عظيم، ولهذا ارتد من ارتد من الناس حين حوِّلت القبلة([[195]](#footnote-195)).
* إثبات حرمة المسجد الحرام، وتعظيمه، لقوله تعالى: ﴿ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ([[196]](#footnote-196)).
* ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أكده بـ "إن "واللام، لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشهي لا الامتثال([[197]](#footnote-197)).
* التوجه إلى الكعبة هو الحق، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ فأثبت فيه الحقية مؤكداً بـ ﴿إن﴾، واللام([[198]](#footnote-198)).
* ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بل هو مطلع عليكم في جميع أحوالكم، فتأدبوا معه، وراقبوه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن أعمالكم غير مغفول عنها، بل مجازون عليها أتم الجزاء، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر([[199]](#footnote-199)).
* وجوب استقبال الكعبة أينما كان الإنسان، قال أهل العلم: من أمكنه مشاهدة الكعبة فالواجب إصابة عينها، ومن لم تمكنه كفى استقبال جهتها، لقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ([[200]](#footnote-200)).
* ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرفة، لينقطع عنكم احتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركين، فإنه لو بقي مستقبلا بيت المقدس، لتوجهت عليه الحجة، فإن أهل الكتاب، يجدون في كتابهم أن قبلته المستقرة، هي الكعبة البيت الحرام، والمشركون يرون أن من مفاخرهم، هذا البيت العظيم، وأنه من ملة إبراهيم، وأنه إذا لم يستقبله محمد صلى الله عليه وسلم، توجهت نحوه حججهم، وقالوا: كيف يدعي أنه على ملة إبراهيم، وهو من ذريته، وقد ترك استقبال قبلته؟([[201]](#footnote-201)).
* أن الظالم لا يدفع ملامته شيء، بمعنى أنه سيلوم وإن لم يكن محل لوم، لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾.
* ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ يعني مهما قال الذين ظلموا من كلام، ومهما قالوا من زخارف القول، ومهما ضايقوا من المضايقات فلا تخشوهم؛ و «الخشية»، و «الخوف» متقاربان؛ إلا أن أهل العلم يقولون: إن الفرق أن «الخشية» لا تكون إلا عن علم؛ لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ([[202]](#footnote-202)) بخلاف «الخوف»: فقد يخاف الإنسان من المخوف وهو لا يعلم عن حاله؛ والفرق الثاني: أن «الخشية» تكون لعظم المخشيّ؛ و «الخوف» لضعف الخائف([[203]](#footnote-203)).
* ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ يُرِيدُ النَّاسَ﴿ وَاخْشَوْنِي ﴾ الْخَشْيَةُ أَصْلُهَا طُمَأْنِينَةٌ فِي الْقَلْبِ تَبْعَثُ عَلَى التَّوَقِّي. وَالْخَوْفُ: فَزَعُ الْقَلْبِ تَخِفُّ لَهُ الْأَعْضَاءُ، وَلِخِفَّةِ الْأَعْضَاءِ بِهِ سُمِّيَ خَوْفًا. وَمَعْنَى الْآيَةِ التَّحْقِيرُ لِكُلِّ مَنْ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْأَمْرُ بِاطِّرَاحِ أَمْرِهِمْ وَمُرَاعَاةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى([[204]](#footnote-204)).
* ﴿وَلأتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ أصل النعمة، الهداية لدينه، بإرسال رسوله، وإنزال كتابه، ثم بعد ذلك، النعم المتممات لهذا الأصل، لا تعد كثرة، ولا تحصر، منذ بعث الله رسوله إلى أن قرب رحيله من الدنيا، وقد أعطاه الله من الأحوال والنعم، وأعطى أمته، ما أتم به نعمته عليه وعليهم([[205]](#footnote-205)).
* ﴿وَلأتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ وَإِتْمَامُ النِّعْمَةِ الْهِدَايَةُ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَقِيلَ: دُخُولُ الْجَنَّةِ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: وَلَمْ تَتِمَّ نِعْمَةُ الله على عبد حتى يدخله الجنة([[206]](#footnote-206)).

# القسم الخامس والأربعون: الآية 151-157

**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)**

* يُزَكِّيكُمْ: يطهركم من الشرك، ويرفع من اخلاقكم.
* الْحِكْمَةَ: سنة رسول الله ، أو حسن الفهم عنه.
* بِالصَّبْرِ: بتوطين النفس على احتمال المكاره.
* لَنَبْلُوَنَّكُمْ: لنختبركم ونمتحنكم.
* مُصِيبَةٌ ومصابة ومصوبة: الأمر المكروه يحلّ بالإنسان.
* صَلَواتٌ: ترحّم رحمة بعد رحمة، ومرّة بعد أخرى.
* بيان نعمة الله تعالى علينا بإرسال الرسول لقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾.([[207]](#footnote-207))
* ﴿كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ﴾ رَسُولًا تَعْرِفُونَهُ بِالصِّدْقِ فَاذْكُرُونِي بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ([[208]](#footnote-208)).
* ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ وهذا يعم الآيات القرآنية وغيرها، فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، التي دلتكم أولا على توحيد الله وكماله، ثم على صدق رسوله، ووجوب الإيمان به، ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب، حتى حصل لكم الهداية التامة، والعلم اليقيني([[209]](#footnote-209)).
* بلَّغ النبي جميع ما أوحي إليه على وجه الكمال، لقوله تعالى: ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾.([[210]](#footnote-210))
* من فوائد رسالة النبي حصول العلم، لأن هذه الآيات كلها علم، لقوله تعالى: ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾.
* الشريعة التي جاء بها النبي كلها تزكية للأمة، وتنمية لأخلاقها، ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾.
* ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية([[211]](#footnote-211)).
* وظيفة الرسول ومهمته التي جاء بها أنه يعلمنا الكتاب والحكمة.
* اشتمال الشريعة على الحكمة، لقوله تعالى:﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾([[212]](#footnote-212)).
* ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي السنة، وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، وتنزيل الأمور منازلها([[213]](#footnote-213)).
* الأصل في الإنسان الجهل، لقوله تعالى﴿ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾([[214]](#footnote-214))**.**
* فضل الله عزّ وجلّ، حيث علمنا ما لم نكن نعلم، لقوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾، وهذا عام في كل ما نحتاج إلى العلم به من أمور الدنيا، والآخرة([[215]](#footnote-215)).
* ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ اذْكُرُونِي بِالطَّاعَةِ أَذْكُرْكُمْ بِالثَّوَابِ وَالْمَغْفِرَةِ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. وَقَالَ أَيْضًا: الذِّكْرُ طَاعَةُ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ لَمْ يَذْكُرْهُ وَإِنْ أَكْثَرَ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ([[216]](#footnote-216)).
* وجوب ذكر الله(مطلق الذكر) لقوله تعالى:**﴿** فَاذْكُرُونِي﴾.
* ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، وذكر الله تعالى، أفضله، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر([[217]](#footnote-217)).
* وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَذْكُرُهُ مُؤْمِنٌ إِلَّا ذَكَرَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا يَذْكُرُهُ كَافِرٌ إِلَّا ذَكَرَهُ اللَّهُ بعذاب([[218]](#footnote-218)).
* مَنْ ذَكر الله ذكره الله، لقوله تعالى: ﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾، وكون الله يذكرك أعظم من كونك تذكره، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» ([[219]](#footnote-219)).
* وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ([[220]](#footnote-220)).
* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) ([[221]](#footnote-221)).
* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ) ([[222]](#footnote-222)).
* الأصل ذكر القلب، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ ([[223]](#footnote-223))،وقوله : «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، وصفة الذكر بالقلب التفكر في آيات الله، ومحبته، وتعظيمه، والإنابة إليه، والخوف منه، والتوكل عليه، وما إلى ذلك من أعمال القلوب.
* ذكر الله باللسان يكون بالنطق بكل قول يقرب إلى الله، وأعلاه قول: «لا إله إلا الله».
* ذكر الله بالجوارح فيكون بكل فعل يقرب إلى الله: كالصلاة، والركوع، والسجود، والجهاد، والزكاة.
* ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ فَشُكْرُ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَشُكْرُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِطَاعَتِهِ لَهُ، إِلَّا أَنَّ شُكْرَ الْعَبْدِ نُطْقٌ بِاللِّسَانِ وَإِقْرَارٌ بِالْقَلْبِ بِإِنْعَامِ الرَّبِّ مَعَ الطَّاعَاتِ([[224]](#footnote-224)).
* وجوب الشكر، لقوله تعالى: ﴿ وَاشْكُرُوا لِي﴾، و «الشكر» يكون بالقلب، وباللسان، وبالجوارح([[225]](#footnote-225)).
* ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب، إقرارا بالنعم، واعترافا، وباللسان، ذكرا وثناء، وبالجوارح، طاعة لله وانقيادا لأمره، واجتنابا لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة([[226]](#footnote-226)).
* الشكر بالقلب أن يعتقد الإنسان بقلبه أن هذه النعمة من الله عزّ وجلّ وحده.
* الشكر باللسان فيكون بالتحدث بنعم الله لا افتخاراً، بل شكراً، قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾([[227]](#footnote-227))، وقال رسول الله : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»([[228]](#footnote-228)).
* قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ﴾ وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية؟ التي تدوم، إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر([[229]](#footnote-229)).
* الشكر بالجوارح يكون بطاعة الله، وصرف هذه النعمة لما جُعِلَت لها.
* وجوب ملاحظة الإخلاص في الشكر، لأن الشكر طاعة، والطاعة لا بد فيها من الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ([[230]](#footnote-230)).
* ﴿وَلا تَكْفُرُونِ﴾ أَيْ لَا تَكْفُرُوا نِعْمَتِي وَأَيَادِيَّ. فَالْكُفْرُ هُنَا سَتْرُ النِّعْمَةِ لَا التَّكْذِيبُ([[231]](#footnote-231)).
* ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده فقال: ﴿وَلا تَكْفُرُونِ﴾ المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها، وعدم القيام بها، ويحتمل أن يكون المعنى عاما، فيكون الكفر أنواعا كثيرة، أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي، على اختلاف أنواعها وأجناسها، من الشرك، فما دونه([[232]](#footnote-232)).
* تحريم كفر النعمة، لقوله تعالى: ﴿وَلا تَكْفُرُونِ﴾ ولهذا إذا أنعم الله على عبده نعمة فإنه يحب أن يرى أثر نعمته عليه([[233]](#footnote-233)).

•﴿ وَاشْكُرُوا لِي﴾، معناه استعينوا بنعمتي على طاعتي.

•﴿وَلا تَكْفُرُونِ﴾ معناه لا تستعينوا بنعمتي على معصيتي.

* فضيلة الإيمان، وأنه من أشرف أوصاف الإنسان، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾.
* الاستعانة بالصلاة من مقتضيات الإيمان، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾.
* الصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه، خصوصا الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار، إلى تحمل الصبر، وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئا، وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم([[234]](#footnote-234)).
* بيان الآثار الحميدة للصلاة، وأن من آثارها الحميدة أنها تعين العبد في أموره([[235]](#footnote-235)).
* أمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها، وما يسن، وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقا بمناجاة ربه ودعائه([[236]](#footnote-236)).
* جواز الاستعانة بغير الله فيما يمكن أن يعين فيه، لقوله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ وجاء في الحديث: «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة»([[237]](#footnote-237)).
* ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: مع من كان الصبر لهم خلقا، وصفة، وملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه([[238]](#footnote-238)).
* إن في الصبر تنشيطاً على الأعمال، والثبات عليها، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾([[239]](#footnote-239))..
* إثبات معية الله سبحانه وتعالى([[240]](#footnote-240)).
* ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ﴾ وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى يُحْيِيهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ لِيَرْزُقَهُمْ- عَلَى مَا يَأْتِي- فَيَجُوزُ أَنْ يُحْيِيَ الْكُفَّارَ لِيُعَذِّبَهُمْ، وَيَكُونُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ. وَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ سَيَحْيَوْنَ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الشُّهَدَاءِ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ فَرْقٌ إِذْ كُلُّ أَحَدٍ سَيَحْيَا. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَلكِنْ لَا تَشْعُرُونَ"([[241]](#footnote-241)).
* ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ النهي عن القول بأن الذين قتلوا في سبيل الله أموات، وهو يشمل القول بالقلب - وهو الاعتقاد، والقول باللسان - وهو النطق([[242]](#footnote-242)).
* أخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون.  
  فالشهداء ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾([[243]](#footnote-243)).
* إثبات حياة الشهداء، لكنها لا تماثل حياة الدنيا، بل هي أجلّ، وأعظم، ولا تعلم كيفيتها([[244]](#footnote-244)).
* ثواب الله سبحانه وتعالى للعامل أجلُّ، وأعلى، وذلك، لأن الشهيد عرض نفسه للموت ابتغاء ثواب الله، فأثابه الله، حيث جعله حياً بعد موته حياة.
* إثبات نعيم القبر، لقوله تعالى: ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾.
* أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. وفي هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله، وملازمة الصبر عليه([[245]](#footnote-245)).
* ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنمتحننكم لِنَعْلَمَ الْمُجَاهِدَ وَالصَّابِرَ عِلْمَ مُعَايَنَةٍ حَتَّى يَقَعَ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ. وَقِيلَ: إِنَّمَا ابْتُلُوا بِهَذَا لِيَكُونَ آيَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ فَيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ إِنَّمَا صَبَرُوا عَلَى هَذَا حِينَ وَضَحَ لَهُمُ الْحَقُّ. وَقِيلَ: أَعْلَمَهُمْ بِهَذَا لِيَكُونُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ أَنَّهُ يُصِيبُهُمْ، فَيُوَطِّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ فَيَكُونُوا أَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الْجَزَعِ، وَفِيهِ تَعْجِيلُ ثَوَابِ الله تعالى على العزم وتوطين النفس([[246]](#footnote-246)).
* ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين([[247]](#footnote-247)).
* ابتلاء العباد بما ذكر الله من الخوف، والجوع، ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات، لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾([[248]](#footnote-248)).
* ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ من الأعداء ﴿وَالْجُوعِ﴾ أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك([[249]](#footnote-249)).
* ﴿مِنَ الْخَوْفِ﴾ أَيْ خَوْفِ الْعَدُوِّ وَالْفَزَعِ فِي الْقِتَالِ، قَالَهُ ابن عباس. وقال الشافعي: هو خوف اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ([[250]](#footnote-250)).
* ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ﴾ وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياع، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك([[251]](#footnote-251)).
* ﴿وَالْجُوعِ﴾ يَعْنِي الْمَجَاعَةَ بِالْجَدْبِ وَالْقَحْطِ، فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: هُوَ الْجُوعُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ([[252]](#footnote-252)).
* ﴿وَالأنْفُسِ﴾ أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه([[253]](#footnote-253)).
* ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ قَالَ ابن عباس: بالقتل والموت فِي الْجِهَادِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يَعْنِي بِالْأَمْرَاضِ([[254]](#footnote-254)).
* ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر ببرد، أو برد، أو حرق، أو آفة سماوية، من جراد ونحوه([[255]](#footnote-255)).
* ﴿وَالثَّمَراتِ﴾ قَالَ الشَّافِعِيُّ: الْمُرَادُ مَوْتُ الْأَوْلَادِ، وَوَلَدُ الرَّجُلِ ثَمَرَةُ قَلْبِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ، عَلَى مَا يَأْتِي. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُرَادُ قِلَّةُ النَّبَاتِ وَانْقِطَاعُ الْبَرَكَاتِ([[256]](#footnote-256)).
* ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب، فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة([[257]](#footnote-257)).
* ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ وَالصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَهَذَا مُجَاهِدٌ، وَصَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَهَذَا عَابِدٌ. فَإِذَا صَبَرَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَصَبَرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ أَوْرَثَهُ اللَّهُ الرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَعَلَامَةُ الرِّضَا سُكُونُ الْقَلْبِ بِمَا وَرَدَ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ وَالْمَحْبُوبَاتِ([[258]](#footnote-258)).
* ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أَيْ بِالثَّوَابِ عَلَى الصَّبْرِ. وَالصَّبْرُ أَصْلُهُ الْحَبْسُ، وَثَوَابُهُ غَيْرُ مُقَدَّرٍ. لَكِنْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالصَّبْرِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى، كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) ([[259]](#footnote-259)).
* من سمة الصابرين تفويض أمرهم إلى الله بقلوبهم، وألسنتهم إذا أصابتهم المصائب، لقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ([[260]](#footnote-260)).
* ﴿مُصِيبَةٌ﴾ الْمُصِيبَةِ: كُلُّ مَا يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ وَيُصِيبُهُ، يُقَالُ: أَصَابَهُ إِصَابَةً وَمُصَابَةً وَمُصَابًا. وَالْمُصِيبَةُ وَاحِدَةُ الْمَصَائِبِ([[261]](#footnote-261)).
* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنُ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ([[262]](#footnote-262)).
* قال رَسُولُ اللَّهِ :مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَذَكَرَ مُصِيبَتَهُ فَأَحْدَثَ اسْتِرْجَاعًا وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الأجر مثله يوم أصيب ([[263]](#footnote-263)).
* احتساب الأجر على المصيبة بأنه كلما عظم المصاب كثر الثواب، ولهذا ذكروا عن بعض العابدات أنها أصيبت بمصيبة، ولم يظهر عليها أثر الجزع، فقيل لها في ذلك، فقالت: إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها([[264]](#footnote-264)).
* ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره([[265]](#footnote-265)).
* ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ تَوْحِيدٌ وَإِقْرَارٌ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْمُلْكِ([[266]](#footnote-266)).
* ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه([[267]](#footnote-267)).
* ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾ إِقْرَارٌ بِالْهَلْكِ، عَلَى أَنْفُسِنَا وَالْبَعْثِ مِنْ قُبُورِنَا، وَالْيَقِينُ أَنَّ رُجُوعَ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ لَهُ. قَالَ سَعِيدُ ابن جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لَمْ تُعْطَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ نَبِيًّا قَبْلَ نَبِيِّنَا، وَلَوْ عَرَفَهَا يَعْقُوبُ لَمَا قَالَ: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ([[268]](#footnote-268)).
* فضيلة الاسترجاع عند المصيبة وهو قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وفي الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها" ([[269]](#footnote-269)).
* ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: ثناء وتنويه بحالهم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله([[270]](#footnote-270)).
* ﴿أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ"﴾ هَذِهِ نِعَمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصَّابِرِينَ الْمُسْتَرْجِعِينَ. وَصَلَاةُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ: عَفْوُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَتُهُ وَتَشْرِيفُهُ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْغُفْرَانُ وَالثَّنَاءُ الْحَسَنُ([[271]](#footnote-271)).
* الثناء على الصابرين بأنهم هم المهتدون الذين اهتدوا إلى ما فيه رضا الله وثوابه([[272]](#footnote-272)).
* ﴿وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ قِيلَ: إِلَى اسْتِحْقَاقِ الثَّوَابِ وَإِجْزَالِ الْأَجْرِ، وَقِيلَ: إِلَى تَسْهِيلِ الْمَصَائِبِ وتخفيف الحزن.([[273]](#footnote-273))

# القسم السادس والأربعون: الآية 158-160

**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)**

* الصَّفا وَالْمَرْوَةَ: جبلان بمكّة، والصّفا: جمع صفاة، وهي من الحجارة ممّا صفا من مخالطة التّراب والرّمل والمروة: الأبيض من الحجارة، وقيل: الشديد منها.
* حَجَّ الْبَيْتَ: قصده*.*
* شَعَائِرِ: الشعائر: معالم الدّين.
* يَلْعَنُهُمُ: اللعنة: الطرد والإبعاد من رحمة الله.
* اعْتَمَرَ: أي زار البيت.
* جُناحَ: هو الإثم أصله من جنح إذا مال.
* أمر جل ثناؤه المؤمنين بالسعي بين الصفا والمروة، عند الحج أو العمرة، وجعل السعي من شعائر دين الله، ومن معالم طاعته، وذلك إحياء لحادثة تاريخية من أروع الذكريات في تاريخ الإنسانية، تلك هي حادثة إسماعيل عليه السلام مع أمه (هاجر) المؤمنة الصابرة، بعد أن تركهما الخليل إبراهيم عليه السلام في مكان قفر ليس فيه أنيس، ولا سمير، ولا ساكن.. تركهما امتثالاً لأمر الله سبحانه في هذه الصحراء الشاسعة الواسعة، التي لا يسكنها أحد، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يريد أن يعمرها بالسكان، ويجعل هذه البقعة المباركة مكاناً لبناء بيته العتيق، ومهوى لأفئدة الملايين من البشر([[274]](#footnote-274)).
* يخبر تعالى أن الصفا والمروة (وهما معروفان): ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي أعلام دينه ظاهرة، التي تَعَبَّد الله بها عباده، وإذا كانا من شعائر الله، فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فدل على أنهما من شعائر الله، وأن تعظيم شعائره، من تقوى القلوب ([[275]](#footnote-275)).
* الطواف بين الصفا، والمروة، يرجح إنه ركن من أركان الحج لا يتم الحج إلا به،لأن النبي قال: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي» ([[276]](#footnote-276)).وقالت عائشة: «والله! ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة» ([[277]](#footnote-277)).
* تمسّحُ المشركين بالأصنام في الجاهلية عند السعي لا يمنع المؤمنين من السعي بينهما([[278]](#footnote-278)).
* الطاعة خير، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾، ولا ريب أن طاعة الله سبحانه وتعالى خير للإنسان في حاله ومآله([[279]](#footnote-279)).
* وقوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ أي: فعل طاعة مخلصا بها لله تعالى ﴿خَيْرًا﴾ من حج وعمرة، وطواف، وصلاة، وصوم وغير ذلك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ فدل هذا، على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله، ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه([[280]](#footnote-280)).
* التطوع بالحج والعمرة في غير الفريضة من مظاهر كمال الإيمان([[281]](#footnote-281)).
* إثبات صفة الشكر، والعلم، لقوله تعالى: ﴿ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾، لأنهما اسمان دالان على الصفة، وعلى الحكم إن كان متعدياً، فقوله تعالى: ﴿ عَلِيمٌ ﴾ يدل على العلم ــــ وهذه هي الصفة ــــ، ويدل على الحكم بأنه يعلم كل شيء([[282]](#footnote-282)).
* ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ وَهُوَ مَا يَأْتِيهِ الْمُؤْمِنُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ فَمَنْ أَتَى بِشَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ فَإِنَّ اللَّهَ يَشْكُرُهُ. وَشُكْرُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ إِثَابَتُهُ عَلَى الطَّاعَةِ([[283]](#footnote-283)).
* اليهود والنصارى كتموا صفات النبي لصدّ الناس عن الإيمان به([[284]](#footnote-284)).
* كتم العلم من كبائر الذنوب، يؤخذ من ترتيب اللعنة على فاعله، والذي يرتب عليه اللعنة لا شك أنه من كبائر الذنوب([[285]](#footnote-285)).
* ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد([[286]](#footnote-286)).
* أن هؤلاء الكاتمين ملعونون، يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون، لقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾.
* حرمة كتمان العلم وفي الحديث الصحيح: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» ([[287]](#footnote-287)).
* كتم العلم خيانة للأمانة التي جعلها الله في أعناق العلماء([[288]](#footnote-288)).
* إثبات علو الله، لقوله تعالى: ﴿ مَا أَنْزَلْنَا ﴾، والنزول إنما يكون من أعلى، وعلو الله بذاته ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة([[289]](#footnote-289)).
* وجوب نشر العلم عند الحاجة إليه.
* إن ما أنزل الله من الوحي فهو بيِّن لا غموض فيه، وهدًى لا ضلالة فيه، لقوله تعالى: ﴿ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾ ([[290]](#footnote-290)).
* بيان فضل الله عزّ وجلّ على عباده بما أنزله من البينات، والهدى، لأن الناس محتاجون إلى هذا، ولولا بيان الله سبحانه وتعالى وهدايته ما عرف الناس كيف يتوضؤون، ولا كيف يصلون، ولا كيف يصومون، ولا كيف يحجون، ولكن من فضل الله أن الله سبحانه وتعالى بيّن ذلك.
* أن الكتب السماوية كلها بيان للناس، لأن قوله تعالى: ﴿ فِي الْكِتَابِ ﴾ المراد به الجنس لا العدد، فالله تعالى بين الحق في كل كتاب أنزله، لم يترك الحق غامضاً، بل بينه لأجل أن تقوم الحجة على الخلق، لأنه لو كان الأمر غامضاً لكان للناس حجة في أن يقولوا: ما تبين لنا الأمر.
* جواز الدعاء باللعنة على كاتم العلم، لقوله تعالى: ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾.
* أن توبة الكاتمين للعلم لا تكون إلا بثلاثة شروط:

الأول: التوبة، وهي الرجوع عما حصل من الكتمان.

الثاني: الإصلاح لما فسد بكتمانهم، لأن كتمانهم الحق حصل به فساد.

الثالث: بيان الحق غاية البيان. لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾([[291]](#footnote-291)).

* ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي رجعوا عما هم عليه من الذنوب، ندما وإقلاعا، وعزما على عدم المعاودة، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما فسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن([[292]](#footnote-292)).
* أن كل ذنب ــــ وإن عظم ــــ إذا تاب الإنسان منه فإن الله سبحانه وتعالى يتوب عليه([[293]](#footnote-293)).
* ﴿التَّوَّابُ﴾ أي: الرجاع على عباده بالعفو والصفح، بعد الذنب إذا تابوا، وبالإحسان والنعم بعد المنع، إذا رجعوا.
* ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي اتصف بالرحمة العظيمة، التي وسعت كل شيء ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأنابوا، ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم، لطفا وكرما، هذا حكم التائب من الذنب([[294]](#footnote-294)).

# القسم السابع والأربعون: الآية 161-164

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (162) وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)**

* يُنْظَرُونَ: يمهلون.
* اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: تعاقبهما.
* الْفُلْكِ: السفن.
* تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ: توجيهها.
* بَثَّ فِيها: فرّق فيها.
* دَابَّةٍ: ما يدب وقيل أنها لا تطلق على الإنسان إلا شتما.
* الكافر مستحق للعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.
* يشترط لثبوت ذلك أن يموت على الكفر، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾، فلو رجعوا عن الكفر إلى الإسلام ارتفعت عنهم هذه العقوبة([[295]](#footnote-295)).
* من كفر واستمر على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه، ولم ينب إليه، ولم يتب عن قريب فأولئك ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لأنه لما صار كفرهم وصفا ثابتا، صارت اللعنة عليهم وصفا ثابتا لا تزول، لأن الحكم يدور مع علته، وجودا وعدما([[296]](#footnote-296)).
* ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة، أو في العذاب والمعنيان.
* الكافر يلعنه الكافر، لقوله تعالى: ﴿ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾، وقد أخبر الله تعالى عن أهل النار أنه ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾([[297]](#footnote-297))، وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾([[298]](#footnote-298))، فالكافر ــــ والعياذ بالله ــــ ملعون حتى ممن شاركه في كفره.
* إن العذاب لا يخفف عنهم، ولا يوماً واحداً، ولهذا يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴾([[299]](#footnote-299)).
* ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ بل عذابهم دائم شديد مستمر ﴿وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضى، ولم يبق لهم عذر فيعتذرون([[300]](#footnote-300)).
* أنهم لا ينظرون، إما أنه من النظر، أو من الإنظار، فهم لا يمهلون ولا ساعة واحدة([[301]](#footnote-301)).
* إله الخلق إله واحد ــــ وهو الله عزّ وجلّ، لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾.
* ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو له، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه([[302]](#footnote-302)).
* اختصاص الألوهية بالله عزّ وجلّ، لقوله تعالى: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ([[303]](#footnote-303)).
* ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ المتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي، فبرحمته وجدت المخلوقات، وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات، وبرحمته اندفع عنها كل نقمة، وبرحمته عرّف عباده نفسه بصفاته وآلائه، وبيَّن لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم([[304]](#footnote-304)).
* إثبات اسم «الإله»، و «الواحد» لله عزّ وجلّ، لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ ([[305]](#footnote-305)): فأثبت اسم «الواحد» سبحانه وتعالى.
* ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.ففي هذه الآية، إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين وبيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع جميع النقم، فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى([[306]](#footnote-306)).
* كفر النصارى القائلين بتعدد الآلهة، لأن قولهم تكذيب للقرآن، بل وللتوراة، والإنجيل، بل ولجميع الرسل، وقد صح عن النبي أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بيأحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» ([[307]](#footnote-307)).
* السموات متعددة، لقوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ ﴾.
* ﴿خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾ في ارتفاعها واتساعها، وإحكامها، وإتقانها، وما جعل الله فيها من الشمس والقمر، والنجوم، وتنظيمها لمصالح العباد([[308]](#footnote-308)).
* وفي خلق ﴿الأرْضِ﴾ مهادا للخلق، يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، والاعتبار. ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها، وحكمته التي بها أتقنها، وأحسنها ونظمها.
* ﴿الأرْضِ﴾ يشمل ما أودع الله فيها من المنافع، حيث جعلها متضمنة، ومشتملة على جميع ما يحتاج الخلق إليه في حياتهم، وبعد مماتهم([[309]](#footnote-309)).
* ﴿اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وهو تعاقبهما على الدوام، إذا ذهب أحدهما، خلفه الآخر، وفي اختلافهما في الحر، والبرد، والتوسط، وفي الطول، والقصر، والتوسط، وما ينشأ عن ذلك من الفصول، التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم، وجميع ما على وجه الأرض، من أشجار ونوابت، كل ذلك بانتظام وتدبير، وتسخير، تنبهر له العقول([[310]](#footnote-310)).
* ﴿اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يعني في الإضاءة، والظلمة؛ في الحر، والبرد؛ في النصر، والخذلان؛ في كل شيء يتعلق بالليل، والنهار؛ هذه الليالي، والأيام التي تدور على العالم كم فَنِي فيها من حي! كم فيها من حي! كم عز فيها من ذليل! كم ذل فيها من عزيز! كم حصل فيها من حوادث لا يعلمها إلا الله! هذا الاختلاف كله آيات تدل على تمام سلطان الله عزّ وجلّ، وعلى تفرده بالوحدانية سبحانه وتعالى([[311]](#footnote-311)).
* ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ وهي السفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها.ثم سخر لها هذا البحر العظيم والرياح، التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم به مصالحهم وتنتظم معايشهم([[312]](#footnote-312)).
* ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ ؛ ﴿ وَالْفُلْكِ ﴾ هي السفينة؛ وتطلق على المفرد، كما في هذه الآية؛ وعلى الجمع، كما في قوله تعالى:﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾([[313]](#footnote-313)) و ﴿ تجْرِيَ ﴾ أي تسير؛ ﴿ فِي الْبَحْرِ ﴾ أي في جوف البحر: فالغواصات تجري في البحر بما ينفع الناس وهي في جوفه؛ لأنه يقاتل بها الأعداء، وتحمى بها البلاد؛ وهذا مما ينفع الناس؛ ويجوز أن تكون ﴿في﴾ بمعنى «على» أي على سطح البحر، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾([[314]](#footnote-314)).
* ما تضمنه قوله تعالى: ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وهي آيات عظيمة دالة على كمال القدرة، والرحمة، والعظمة، وعلى إحياء الله سبحانه وتعالى الموتى([[315]](#footnote-315)).
* ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فأظهرت من أنواع الأقوات، وأصناف النبات، ما هو من ضرورات الخلائق، التي لا يعيشون بدونها.أليس ذلك دليلا على قدرة من أنزله، وأخرج به ما أخرج ورحمته، ولطفه بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟ أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم؟ أليس ذلك دليلا على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم؟ ([[316]](#footnote-316)).
* ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ أي نشر، وفرق؛ وهي معطوفة على قوله تعالى: ﴿أنزل﴾ أي: وفيما بث في الأرض من كل دابة آيات لقوم يعقلون، ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾أي من كل ما يدب على الأرض من صغير، وكبير، وعاقل، وبهيم؛ وأتى بـ ﴿كل﴾ لإفادة العموم الشامل لجميع الأجناس، والأنواع، والأفراد؛ ففي الأرض دواب لا يَعلَم بأنواعها، ولا أجناسها - فضلاً عن أفرادها - إلا الذي خلقها سبحانه وتعالى يعلم هذه الأجناس([[317]](#footnote-317)).
* ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة، ما هو دليل على قدرته وعظمته، ووحدانيته وسلطانه العظيم، وسخرها للناس، ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع.فمنها: ما يأكلون من لحمه، ويشربون من دره، ومنها: ما يركبون، ومنها: ما هو ساع في مصالحهم وحراستهم، ومنها: ما يعتبر به، ومع أنه بث فيها من كل دابة، فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم، المتكفل بأقواتهم، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها([[318]](#footnote-318)).
* ﴿تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ باردة وحارة، وجنوبا وشمالا وشرقا ودبورا وبين ذلك، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلقحه، وتارة تدره، وتارة تمزقه وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، وتارة ترسل بالعذاب.

# القسم الثامن والأربعون: الآية 165-167

**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)**

* أنْدَادًا: أمثالاً من الأوثان يعبدونها من دون الله.
* التّقطّع: التباعد بعد الاتّصال.
* الْأَسْبابُ: الوصلات. الواحد سبب ووصلة. وأصل السّبب الحبل يشد بالشيء فيجذبه، ثم جعل كل ما جرّ شيئا سببا.
* تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ: تفككت الروابط التي كانت بينهم في الدنيا.
* كَرَّةً: رجعة إلى الدّنيا.
* الحسرة: الندامة والاغتمام على ما فات ولا يمكن ارتجاعه.
* ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً﴾ وَالْمُرَادُ الْأَوْثَانُ وَالْأَصْنَامُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا كَعِبَادَةِ اللَّهِ مَعَ عَجْزِهَا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ([[319]](#footnote-319)).
* محبة الله من العبادة، لأن الله جعل من سوّى غيره فيها مشركاً متخذاً لله نداً، فالمحبة من العبادة، بل هي أساس العبادة، لأن أساس العبادة مبني على الحب، والتعظيم، فبالحب يفعل المأمور، وبالتعظيم يجتنب المحظور، هذا إذا اجتمعا، وإن انفرد أحدهما استلزم الآخر([[320]](#footnote-320)).
* ﴿أَنْداداً﴾ الْمُرَادُ بِالْأَنْدَادِ الرُّؤَسَاءُ الْمُتَّبَعُونَ، يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ([[321]](#footnote-321)).
* ﴿مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي: نظراء ومثلاء، يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة([[322]](#footnote-322)).
* ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أَيْ يُحِبُّونَ أَصْنَامَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ عَلَى الْحَقِّ، قَالَهُ الْمُبَرِّدُ، وَقَالَ مَعْنَاهُ الزَّجَّاجُ. أَيْ أَنَّهُمْ مَعَ عَجْزِ الْأَصْنَامِ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ مَعَ قُدْرَتِهِ([[323]](#footnote-323)).
* وجوب حب الله وحب كل ما يُحب الله عز وجل بحبه تعالى([[324]](#footnote-324)).
* ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي يسؤون بَيْنَ الْأَصْنَامِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَحَبَّةِ([[325]](#footnote-325)).
* المخلوق ليس ندا لله لأن الله هو الخالق، وغيره مخلوق، والرب الرازق ومن عداه مرزوق، والله هو الغني وأنتم الفقراء، وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه، والله هو النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضر والأمر شيء، فعلم علما يقينا، بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأندادا، سواء كان ملكا أو نبيا، أو صالحا، صنما، أو غير ذلك، وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة، والذل التام([[326]](#footnote-326)).
* من الشرك الحب مع الله تعالى، ومن التوحيد الحب بحب الله عز وجل([[327]](#footnote-327)).
* المؤمن محب لله عز وجل أكثر من محبة هؤلاء لأصنامهم، لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾([[328]](#footnote-328)).
* ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أَيْ أَشَدُّ مِنْ حُبِّ أَهْلِ الْأَوْثَانِ لِأَوْثَانِهِمْ وَالتَّابِعِينَ لِمَتْبُوعِهِمْ([[329]](#footnote-329)).
* مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أي: من أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئا، ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشتت أمره([[330]](#footnote-330)).
* ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ الْمَعْنَى لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي الدُّنْيَا عَذَابَ الْآخِرَةِ لَعَلِمُوا حِينَ يرونه أن القوة لله جميعا([[331]](#footnote-331)).
* ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد والانقياد لغير رب العباد وظلموا الخلق بصدهم عن سبيل الله، وسعيهم فيما يضرهم([[332]](#footnote-332)).
* ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ و" يرى" بِمَعْنَى يَعْلَمُ، أَيْ لَوْ يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ قُوَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشِدَّةِ عَذَابِهِ([[333]](#footnote-333)).
* ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ أي: يوم القيامة عيانا بأبصارهم، ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ أي: لعلموا علما جازما، أن القوة والقدرة لله كلها، وأن أندادهم ليس فيها من القوة شيء، فتبين لهم في ذلك اليوم ضعفها وعجزها، لا كما اشتبه عليهم في الدنيا، وظنوا أن لها من الأمر شيئا، وأنها تقربهم إليه وتوصلهم إليه، فخاب ظنهم، وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب([[334]](#footnote-334)).
* ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ وَلَوْ تَرَى يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي حَالِ رُؤْيَتِهِمْ لِلْعَذَابِ لِأَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ لَعَلِمْتَ مَبْلَغَهُمْ مِنَ النَّكَالِ وَلَاسْتَعْظَمْتَ مَا حَلَّ بِهِمْ([[335]](#footnote-335)).
* كلما ازداد إيمان العبد ازدادت محبته لله ([[336]](#footnote-336)).
* شدة عذاب الله عز وجل لهؤلاء الظالمين، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾.
* ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ يَعْنِي السَّادَةَ وَالرُّؤَسَاءَ تَبَرَّءُوا مِمَّنِ اتَّبَعَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ. عَنْ قَتَادَةَ وَعَطَاءٍ وَالرَّبِيعِ. وَقَالَ قَتَادَةُ أَيْضًا وَالسُّدِّيُّ: هُمُ الشَّيَاطِينُ الْمُضِلُّونَ تَبَرَّءُوا مِنَ الْإِنْسِ. وقيل: هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَتْبُوعٍ ([[337]](#footnote-337)).
* المتبوعين بالباطل لا ينفعون أتباعهم، لقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾، ولو كانوا ينفعونهم لم يتبرؤوا منهم([[338]](#footnote-338)).
* ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ تبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت بينهم الوصل، التي كانت في الدنيا، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحلت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم([[339]](#footnote-339)).
* لا يقتصر الأمر على عدم النفع، بل يتعداه إلى البراءة منهم، والتباعد عنهم، وهذا يكون أشد حسرة على الأتباع مما لو كان موقفهم سلبياً([[340]](#footnote-340)).
* ﴿وَرَأَوُا الْعَذابَ﴾ يَعْنِي التَّابِعِينَ وَالْمَتْبُوعِينَ، قِيلَ: بِتَيَقُّنِهِمْ لَهُ عِنْدَ المعاينة في الدنيا. وقيل: عند العرض والمسألة فِي الْآخِرَةِ. قُلْتُ: كِلَاهُمَا حَاصِلٌ، فَهُمْ يُعَايِنُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَوَانِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَذُوقُونَ أَلِيمَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ ([[341]](#footnote-341)).
* ثبوت البعث وثبوت العقاب لقوله تعالى: ﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ ([[342]](#footnote-342)).
* ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ﴾ أَيِ الْوُصُلَاتُ الَّتِي كَانُوا يَتَوَاصَلُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ رَحِمِ وَغَيْرِهِ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ. الْوَاحِدُ سَبَبٌ وَوُصْلَةٌ. وَأَصْلُ السَّبَبِ الْحَبْلُ يَشُدُّ بِالشَّيْءِ فَيَجْذِبُهُ، ثُمَّ جُعِلَ كُلُّ مَا جَرَّ شَيْئًا سَبَبًا. وَقَالَ السُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ الْأَسْبَابَ أَعْمَالَهُمْ ([[343]](#footnote-343)).
* يجمع الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بين الأتباع والمتبوعين توبيخاً، وتنديماً لهم، ويتبرأ بعضهم من بعض، لأن هذا ــــ لا شك ــــ أعظم حسرة إذا صار متبوعه الذي كان يعظمه في الدنيا يتبرأ منه وجهاً لوجه([[344]](#footnote-344)).
* ﴿وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ قَالَ الْأَتْبَاعُ: لَوْ ثَبَتَ أَنَّ لَنَا رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا حتى نعمل صالحا ونتبرأ منهم، وَالتَّبَرُّؤُ الِانْفِصَالُ([[345]](#footnote-345)).
* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ وحينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعيهم، بأن يتركوا الشرك بالله، ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهيهات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنما هو قول يقولونه، وأماني يتمنونها، حنقا وغيظا على المتبوعين لما تبرأوا منهم والذنب ذنبهم، فرأس المتبوعين على الشر إبليس، ومع هذا يقول لأتباعه لما قضي الأمر ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ([[346]](#footnote-346)).
* يوم القيامة تنحل جميع الروابط من صداقة ونسب ولم تبق إلا رابطة الإيمان والأخوة فيه([[347]](#footnote-347)).
* جميع الأسباب الباطلة التي لا تُرضي الله ورسوله، تتقطع بأصحابها يوم القيامة، وتزول، ولا تنفعهم([[348]](#footnote-348)).
* ﴿ أَعْمالَهُمْ﴾ أَيِ الْأَعْمَالُ الْفَاسِدَةُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا فَوَجَبَتْ لَهُمْ بِهَا النَّارُ([[349]](#footnote-349)).
* ﴿حَسَراتٍ﴾ الحسرة أعلا درجات الندامة على شي فَائِتٍ. وَالتَّحَسُّرُ: التَّلَهُّفُ، يُقَالُ: حَسِرْتُ عَلَيْهِ (بِالْكَسْرِ) أَحْسَرُ حَسَرًا وَحَسْرَةً. وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشَّيْءِ الْحَسِيرِ الَّذِي قَدِ انْقَطَعَ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ.
* ﴿ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ دَلِيلٌ عَلَى خُلُودِ الْكُفَّارِ فِيهَا وَأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا. وَهَذَا قَوْلُ جَمَاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِهَذِهِ الْآيَةِ، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾([[350]](#footnote-350)).

# القسم التاسع والأربعون: الآية 168-171

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)**

* حَلَالًا: ما أباحه الشرع وأذن في تناوله وهو ضد الحرام.
* طَيِّبًا: مستلذاً مستطاباً تقبل النفوس عليه.
* خُطُوَاتِ: أثر الشيطان ووساوسه.
* أَلْفَيْنا: وجدنا.
* يَنْعِقُ: من النعيق وهو الصياح.
* إظهار منة الله على عباده، حيث أباح لهم جميع ما في الأرض من حلال طيب، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾([[351]](#footnote-351)).
* ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا خطاب للناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض، من حبوب، وثمار، وفواكه، وحيوانات([[352]](#footnote-352)).
* كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَسُمِّيَ الْحَلَالُ حَلَالًا لِانْحِلَالِ عُقْدَةَ الْخَطَرِ عَنْهُ. قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: النَّجَاةُ فِي ثَلَاثَةٍ: أَكْلُ الْحَلَالِ، وَأَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَالِاقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّاجِيُّ وَاسْمُهُ سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ: خَمْسُ خِصَالٍ بِهَا تَمَامُ الْعِلْمِ، وَهِيَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْعَمَلِ عَلَى السُّنَّةِ، وَأَكْلُ الْحَلَالِ، فَإِنْ فُقِدَتْ وَاحِدَةً لَمْ يُرْفَعِ الْعَمَلُ. قَالَ سَهْلٌ: وَلَا يَصِحُّ أَكْلُ الْحَلَالِ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَلَا يَكُونُ الْمَالُ حَلَالًا حَتَّى يَصْفُوَ مِنْ سِتِّ خِصَالٍ: الرِّبَا وَالْحَرَامِ وَالسُّحْتِ- وَهُوَ اسْمٌ مُجْمَلٌ- وَالْغُلُولِ وَالْمَكْرُوهِ وَالشُّبْهَةِ ([[353]](#footnote-353)).
* ﴿حَلالا﴾ أي: محللا لكم تناوله، ليس بغصب ولا سرقة، ولا محصلا بمعاملة محرمة أو على وجه محرم، أو معينا على محرم([[354]](#footnote-354)).
* الأصل أن ما في الأرض الحل والطيب حتى يتبين أنه حرام([[355]](#footnote-355)).
* ﴿طَيِّبًا﴾ أي: ليس بخبيث، كالميتة والدم، ولحم الخنزير، والخبائث كلها، ففي هذه الآية، دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، أكلا وانتفاعا، وأن المحرم نوعان: إما محرم لذاته، وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب، وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال([[356]](#footnote-356)).
* وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:" خُطُواتِ الشَّيْطانِ" أَعْمَالُهُ. مُجَاهِدٌ: خَطَايَاهُ. السُّدِّيُّ: طَاعَتُهُ. أَبُو مِجْلَزٍ: هِيَ النُّذُورُ فِي الْمَعَاصِي. وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّفْظَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عَدَا السُّنَنَ وَالشَّرَائِـــــــــــــــــــــعَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمَعَاصِي ([[357]](#footnote-357)).
* تحريم اتباع خطوات الشيطان، لقولهتعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾، ومن ذلك الأكل بالشمال، والشرب بالشمال، لقول النبي : « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله » ([[358]](#footnote-358)).
* ولما أمرهم باتباع ما أمرهم به - إذ هو عين صلاحهم - نهاهم عن اتباع ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر، وفسوق، وظلم، ويدخل في ذلك تحريم السوائب، والحام، ونحو ذلك، ويدخل فيه أيضا تناول المأكولات المحرمة([[359]](#footnote-359)).
* القياس الفاسد من خطوات الشيطان، ويعتبر إبليس أول من قاس قياساً فاسداً، عندما أمره الله بالسجود لآدم عارض هذا الأمر بقياس فاسد: قال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾([[360]](#footnote-360)).
* الحسد من خطوات الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾([[361]](#footnote-361)).
* جاءت «إن» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ للتوكيد، أي لزيادة تأكيد عداوة الشيطان لبني آدم ([[362]](#footnote-362)).
* ﴿ إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ﴾ سُمِّيَ السُّوءُ سُوءًا لِأَنَّهُ يَسُوءُ صَاحِبَهُ بِسُوءِ عَوَاقِبِهِ. وَهُوَ مَصْدَرُ سَاءَهُ يَسُوءُهُ سُوءًا وَمُسَاءَةً إِذَا أَحْزَنَهُ. وَسُؤْتُهُ فَسِيءَ إِذَا أَحْزَنْتَهُ فَحَزِنَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ([[363]](#footnote-363)).
* للشيطان إرادة، وأمراً، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ ([[364]](#footnote-364)).
* ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ أي: الشر الذي يسوء صاحبه، فيدخل في ذلك، جميع المعاصي([[365]](#footnote-365)).
* الشيطان لا يأمر بالخير، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾.
* ﴿الْفَحْشاءِ﴾ فَكُلُّ مَا نَهَتْ عَنْهُ الشَّرِيعَةُ فَهُوَ مِنَ الْفَحْشَاءِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: إِنَّ كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذِكْرِ الْفَحْشَاءِ فَإِنَّهُ الزِّنَى، إِلَّا قَوْلَهُ:" ﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ﴾ فَإِنَّهُ مَنْعُ الزَّكَاةِ ([[366]](#footnote-366)).
* ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الفحشاء من المعاصي، ما تناهى قبحه، كالزنا، وشرب الخمر، والقتل، والقذف، والبخل ونحو ذلك، مما يستفحشه من له عقل ([[367]](#footnote-367)).
* جاءت ﴿ إِنَّمَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾ للحصر، أي لحصر الأمر بالسوء والفحشاء([[368]](#footnote-368)).
* إذا وقع في قلب الإنسان همّ بالسيئة أو الفاحشة فليعلم أنها من أوامر الشيطان، فليستعذ بالله منه، لقوله تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ([[369]](#footnote-369)).
* القول على الله بلا علم من أوامر الشيطان، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.
* ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قَالَ الطَّبَرِيُّ: يُرِيدُ مَا حَرَّمُوا مِنَ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَنَحْوِهَا مِمَّا جَعَلُوهُ شَرْعًا ([[370]](#footnote-370)).
* ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ فيدخل في ذلك، القول على الله بلا علم، في شرعه، وقدره، فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو نفى عنه ما أثبته لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله بلا علم([[371]](#footnote-371)).
* ذم التعصب بغير هدى، لقوله تعالى: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾، مع أن آباءهم لا عقل عندهم، ولا هدى([[372]](#footnote-372)).
* ﴿قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾ ذَمِّ اللَّهِ تَعَالَى الْكُفَّارَ بِاتِّبَاعِهِمْ لِآبَائِهِمْ فِي الْبَاطِلِ، وَاقْتِدَائِهِمْ بِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ. وَهَذَا فِي الْبَاطِلِ صَحِيحٌ، أَمَّا التَّقْلِيدُ فِي الْحَقِّ فَأَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَعِصْمَةٌ مِنْ عِصَمِ الْمُسْلِمِينَ يَلْجَأُ إِلَيْهَا الْجَاهِلُ الْمُقَصِّرُ عَنْ دَرْكِ النَّظَرِ ([[373]](#footnote-373)).
* ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالا وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعا، واتبعه إن كان منصفا([[374]](#footnote-374)).
* من تعصب لمذهب مع مخالفة الدليل ففيه شبه من هؤلاء، والواجب أن الإنسان إذا قيل له: «اتَّبِع مَا أَنْزَلَ اللهُ » أن يقول: «سمعنا، وأطعنا»([[375]](#footnote-375)).
* ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أَيْ بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ ([[376]](#footnote-376)).
* بيان عناد هؤلاء المستكبرين الذين إذا قيل لهم: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ قالوا: ﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ دون أن يقيموا برهاناً على صحته([[377]](#footnote-377)).
* شَبَّهَ تَعَالَى وَاعِظَ الْكُفَّارِ وَدَاعِيهِمْ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّاعِي الَّذِي يَنْعِقُ بِالْغَنَمِ وَالْإِبِلِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَهُ وَنِدَاءَهُ، وَلَا تَفْهَمُ مَا يَقُولُ، وَمَثَلُكَ يَا مُحَمَّدُ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ النَّاعِقِ وَالْمَنْعُوقِ بِهِ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَفْهَمُ ([[378]](#footnote-378)).
* كل من خالف الحق، وما أنزل الله فليس بعاقل، وليس عنده هدًى، لقوله تعالى: ﴿ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ ([[379]](#footnote-379)).
* ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها، فهم يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم، فلهذا كانوا صما لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عميا لا ينظرون نظر اعتبار، بكما فلا ينطقون بما فيه خير لهم([[380]](#footnote-380)).

# القسم الخمسون: الآية 172-176

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)**

* أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ: أي ذكر عند ذبحه اسم غير الله. وأصل الإهلال رفع الصّوت.
* عَادٍ: العادي؛ المتجاوز قدر الضرورة.
* إِثْمَ: الإثم: الذنب والمعصية.
* بِالْهُدَى: بالشرائع التي انزلها الله على لسان أنبيائه عليهم السلام.
* شِقَاقٍ: عداء وتنازع.
* اضْطُرَّ: ألجئ.
* فضيلة الإيمان، حيث وجَّه الله الخطاب إلى المؤمنين، فهم أهل لتوجيه الخطاب إليهم، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ([[381]](#footnote-381)).
* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا أمر للمؤمنين خاصة، بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم([[382]](#footnote-382)).
* الأمر بالأكل من طيبات ما رزق الله، لقوله تعالى: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾، وهو للوجوب إن كان الهلاك، أو الضرر بترك الأكل([[383]](#footnote-383)).
* أباح الباري جل وعلا لعباده المؤمنين تناول الطيبات، وحرّم عليهم الخبائث كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، ونهاهم عن تعذيب النفس وحرمانها من اللذائذ الدنيوية، فإن المشركين وأهل الكتاب حرَّموا على أنفسهم أشياء لم يحرمها الله تعالى كالبحيرة والسائبة([[384]](#footnote-384)).
* أمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوي بها على ما يوصل إليه، فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ ([[385]](#footnote-385)).
* الخبائث لا يؤكل منها، لقوله تعالى: ﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾، والخبائث محرمة، لقوله تعالى: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ ([[386]](#footnote-386)).
* الحكمة من تحريم الميتة لما فيها من الضرر، لأنها إمّا أن تكون ماتت لمرض وعلة، قد أفسد بدنها وجعلها غير صالحة للبقاء والحياة، وإما أن يكون الموت لسببٍ طارئ. فأما الأول فقد خبث لحمها، وتلوث بجراثيم المرض، فيخشى من عدواها، ونقل مرضها إلى الآكلين. وأما الثانية: فلأنّ الموت الفجائي يقتضي بقاء المواد الضارة في جسمها([[387]](#footnote-387)).
* أمّا ما أهل به لغير الله، فهو محرم لا لعلة فيه، ولكن للتوجه به لغير الله، محرم لعلة روحية، لسلامة القلب، وطهارة الروح، وخلوص الضمير، فهو ملحق بالنجاسة المادية والقذارة الحقيقية، وقد حرص الإسلام على أن يكون التوجه لله وحده بلا شريك»([[388]](#footnote-388)).
* من اسرار البيان قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾([[389]](#footnote-389)) فقدم (به) على (لغير الله)،بينما قال في سورة المائدة:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾([[390]](#footnote-390))، وقال في سورة الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾([[391]](#footnote-391)) فقدّم (لغير الله) على (به)، ويعود السبب في ذلك، أن في سورة البقرة كان المقام مقام الرزق والطعام بأكل الطيبات قدم (به) والضمير يعود على ما يذبح وهو طعام، أما المقام في آية الإنعام هو في الكلام على المفترين على الله ممن كانوا يشرعون للناس بإسم الله وهم يفترون عليه. والكلام في المائدة أيضاً على التحليل والتحريم ومن بيده ذلك، ورفض أية جهة تحلل وتحرم من غير الله فإن الله هو يحكم ما يريد فقدّم (لغير الله) على (به).([[392]](#footnote-392))
* ما يحصل عليه المرء من مأكول فإنه من رزق الله، وليس للإنسان فيه إلا السبب فقط، لقوله تعالى: ﴿ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾.
* توجيه المرء إلى طلب الرزق من الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾، فإذا كان هذا الرزق من الله سبحانه وتعالى فلنطلبه منه مع فعل الأسباب التي أمرنا بها([[393]](#footnote-393)).
* كان المذهب الشائع عند النصارى أن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، تعذيب النفس واحتقارها، وحرمانها من جميع الطيبات المستلذة، واعتقاد أنه لا حياة (للروح) إلا بتعذيب الجسد، وكلّ هذه الأحكام والشرائع قد وضعها الرؤساء، وليس لها أثر في شريعة الله([[394]](#footnote-394)).
* ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ فالشكر في هذه الآية، هو العمل الصالح، وهنا لم يقل "حلالا "لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة، ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له([[395]](#footnote-395)).
* وجوب الشكر لله، لقوله تعالى: ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ ([[396]](#footnote-396)).
* تفضل الله على هذه الأمة بجعلها أمة وسطاً، تعطي الجسد حقه، والروح حقها، فأحلّ لنا الطيبات وحرّم علينا الخبائث، وأمرنا بالشكر عليها، ولم يجعلنا (جثمانيين) خلّصاً كالأنعام، ولا (روحانيين) خلصاً كالملائكة، بل جعلنا أناسيّ كملة بهذه الشيعة المعتدلة([[397]](#footnote-397)).
* وجوب الإخلاص لله في ذلك، يؤخذ ذلك من اللام في قوله تعالى﴿ لِلَّهِ﴾ ([[398]](#footnote-398)).
* ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: فاشكروه، فدل على أن من لم يشكر الله، لم يعبده وحده، كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به، ويدل أيضا على أن أكل الطيب، سبب للعمل الصالح وقبوله، والأمر بالشكر، عقيب النعم؛ لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة كما أن الكفر، ينفر النعم المفقودة ويزيل النعم الموجودة([[399]](#footnote-399)).
* إن الشكر من تحقيق العبادة، لقوله تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ([[400]](#footnote-400)).
* وجوب الإخلاص لله في العبادة، يؤخذ ذلك من تقديم المعمول في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.
* ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ وهي: ما مات بغير تذكية شرعية، لأن الميتة خبيثة مضرة، لرداءتها في نفسها، ولأن الأغلب، أن تكون عن مرض، فيكون زيادة ضرر واستثنى الشارع من هذا العموم، ميتة الجراد، وسمك البحر، فإنه حلال طيب([[401]](#footnote-401)).
* إثبات رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده من وجهين:
* أولاً: من أمره إياهم بالأكل من الطيبات، لأن بذلك حفظاً لصحتهم.  
  ثانياً: من قوله تعالى: ﴿ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾، فإن الرزق بلا شك من رحمة الله([[402]](#footnote-402)).
* حصرت المحرمات في أربع أشياء: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله.
* ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: ذبح لغير الله، كالذي يذبح للأصنام والأوثان من الأحجار، والقبور ونحوها. ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي: ألجئ إلى المحرم، بجوع وعدم، أو إكراه. ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: غير طالب للمحرم، مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه. ﴿وَلا عَادٍ﴾ أي: متجاوز الحد في تناول ما أبيح له، اضطرارا، فمن اضطر وهو غير قادر على الحلال، وأكل بقدر الضرورة فلا يزيد عليها([[403]](#footnote-403)).
* الضرورات تبيح المحظورات، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾، ولكن هذه الضرورة تبيح المحرم بشرطين:

الشرط الأول: صدق الضرورة بحيث لا يندفع الضرر إلا بتناول المحرم.  
الشرط الثاني: زوال الضرورة به حيث يندفع الضرر.

* إثبات رحمة الله عز وجل، لأن من رحمة الله أن أباح المحَرَّمَ للعبد لدفع ضرورته([[404]](#footnote-404)).
* إن من تناول المحرم بدون عذر فهو آثم، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾، فعُلم منها أن من كان غير مضطر فعليه إثم.
* ﴿فَلا إِثْمَ﴾ أي: جناح عليه، وإذا ارتفع الجناح الإثم رجع الأمر إلى ما كان عليه، والإنسان بهذه الحالة، مأمور بالأكل، بل منهي أن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يقتل نفسه([[405]](#footnote-405)).
* وجوب نشر العلم، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ﴾، ويتأكد وجوب نشره إذا دعت الحاجة إليه بالسؤال عنه، إما بلسان الحال، وإما بلسان المقال([[406]](#footnote-406)).
* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله، من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتموه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله([[407]](#footnote-407)).
* علو الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾، فإن لازم النزول من عنده أن يكون سبحانه وتعالى عالياً([[408]](#footnote-408)).
* ﴿نزلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه، وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فمن صرفه عن مقصوده، فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة([[409]](#footnote-409)).
* إن هذا الوعيد على من جمع بين الأمرين: ﴿ يَكْتُمُونَ ﴾، و ﴿ يَشْتَرُونَ ﴾، فأما من كتم بدون اشتراء، أو اشترى بدون كتم فإن الحكم فيه يختلف، إذا كتم بدون اشتراء فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ ([[410]](#footnote-410)).
* ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ﴾ لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم([[411]](#footnote-411)).
* إن متاع الدنيا قليل ــــ ولو كثر ــــ، لقوله تعالى: ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.
* إطلاق المسبَّب على السبب، لقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ هم لا يأكلون النار، ولكن يأكلون المال، لكنه مال سبب للنار([[412]](#footnote-412)).
* إقامة العدل في الجزاء، لقوله تعالى﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾، فجعل عقوبتهم من النار بقدر ما أكلوه من الدنيا الذي أخذوه عوضاً عن العلم.
* ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار([[413]](#footnote-413)).
* إثبات كلام الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ﴾، لأنه لو كان لا يتكلم لا معهم، ولا مع غيرهم، لم يكن في نفي تكليمه إياهم فائدة، فنفيه لتكليمه هؤلاء يدل على أنه يكلم غيرهم، وقد استدل الشافعي ــــ رحمه الله ــــ بقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ ﴾ أي الفجار ﴿ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾([[414]](#footnote-414)) برؤية الأبرار له، لأنه ما حجب هؤلاء في حال السخط إلا لرؤية الأبرار في حال الرضا، إذ لو كان لا يُرى مطلقاً لم يكن لذكر حجب الفجار فائدة، وكلام الله عز وجل هو الحرف، والمعنى، فالله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام بحروف، وصوت، وأدلة هذا، وتفصيله مذكور في كتب العقائد([[415]](#footnote-415)).
* ﴿وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله، وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة([[416]](#footnote-416)).
* يُزَكى الإنسان يوم القيامة، وذلك بالثناء القولي، والفعلي، فإن الله يقول لعبده المؤمن حين يقرره بذنوبه: «سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»، وأما الفعلي فإن علامة الثناء أنه يعطى كتابه بيمينه، ويَشهد الناسُ كلهم على أنه من المؤمنين، وهذه تزكية بلا شك([[417]](#footnote-417)).
* غلظ عقوبة هؤلاء بأن الله تعالى لا يكلمهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، والمراد كلام الرضا، وأما كلام الغضب فإن الله تعالى يكلم أهل النار، كما قال تعالى: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ ([[418]](#footnote-418)).
* إن عذاب هؤلاء الكافرين عذاب مؤلم ألماً نفسياً، وألماً جسمانياً، فأما الألم النفسي فدليله قوله تعالى: ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾، فهذا من أبلغ ما يكون من الإذلال الذي به الألم النفسي، وأما الألم البدني فدليله قول الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ([[419]](#footnote-419))، وقوله تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾([[420]](#footnote-420))، وقوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (21) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ([[421]](#footnote-421)).
* سبب ضلال هؤلاء وكتمانهم الحق أنهم لم يريدوا الهدى، وإنما أرادوا الضلال والفساد ــــ والعياذ بالله ــــ، لقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا...﴾.
* إن عقوبة الله لهم ليست ظلماً منه، بل هم الذين تسببوا لها، حيث اشتروا الضلالة بالهدى، والله عز وجل ليس بظلام للعبيد([[422]](#footnote-422)).
* الضرورات تبيح المحظورات فيجب، إذًا عليه الأكل، ويأثم إن ترك الأكل حتى مات، فيكون قاتلا لنفسه.وهذه الإباحة والتوسعة، من رحمته تعالى بعباده، فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ([[423]](#footnote-423)).
* من اسرار البيان تقديم المغفرة على الرحمة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾([[424]](#footnote-424)) وقوله تعالى:﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ([[425]](#footnote-425)) قالوا: وسبب تقديم الغفور على الرحيم أن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة([[426]](#footnote-426)).
* توبيخ هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله، لقوله تعالى: ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾، وكان الأجدر بهم أن يتخذوا وقاية من النار لا وسيلة إليها([[427]](#footnote-427)).
* ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي: وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، والذين حرفوه وصرفوه على أهوائهم ومراداتهم.

# القسم الحادي والخمسون: الآية 177

**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)**

* الْبِرَّ: اسم جامع لكل خير.
* ابْنَ السَّبِيلِ: المسافر المنقطع عن ماله وولده ووطنه.
* فِي الرِّقَابِ: فك الرقاب وتخليصها من العبودية والرق.
* الْبَأْساءِ: أي البأس والشدة، وهو أيضا البؤس أي الفقر وسوء الحال.
* الضَّرَّاءِ: الفقر والقحط وسوء الحال وأشباه ذلك.
* حِينَ الْبَأْسِ: وقت القتال في سبيل الله.
* كَانتِ الْيَهُودُ تُصَلِّي لِلْمَغْرِبِ وَالنَّصَارَى لِلْمَشْرِقِ، وَيَزْعُمُ كُلُّ فَرِيقٍ إن الْبِرَّ ذَلِكَ([[428]](#footnote-428)).
* إن البر حقيقة هو الإيمان بالله.
* ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ أي: بأنه إله واحد، موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص([[429]](#footnote-429)).
* إن الإيمان باليوم الآخر من البر، ويشمل كل ما أخبر به النبي مما يكون بعد الموت، كفتنة القبر، ونعيمه، وعذابه، وقيام الساعة، والبعث، والحساب، والصراط، والميزان، والكتب باليمين، أو الشمال، والجنة، وما ذُكر مننعيمها، والنار، وما ذكر من عذابها، وغير ذلك مما جاء في الكتاب، والسنة عن هذه الأمور مفصلاً أحياناً، ومجملاً أحياناً([[430]](#footnote-430)).
* ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وهو كل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به الرسول، مما يكون بعد الموت([[431]](#footnote-431)).
* إن الإيمان بالملائكة من البر، ويشمل الإيمان بذواتهم، وصفاتهم، وأعمالهم إجمالاً فيما علمناه إجمالاً، وتفصيلاً فيما علمناه تفصيلاً.
* ﴿وَالْمَلائِكَةِ﴾ الذين وصفهم الله لنا في كتابه، ووصفهم رسوله صلى الله عليه وسلم.
* إن الإيمان بالكتب من البر، وكيفيته إن نؤمن بأن كل كتاب انزله الله على أحد من رسله فهو حق: صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام.
* ﴿وَالْكِتَابِ﴾ أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على رسوله، وأعظمها القرآن، فيؤمن بما تضمنه من الأخبار والأحكام.
* إن الإيمان بالنبيين من البر، فنؤمن بكل نبي أوحى الله إليه، فمن علمنا منهم نؤمن به بعينه، والباقي إجمالاً، وقد ورد في حديث صححه ابن حبان إن عدة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً، وإن عدة الأنبياء مائة وأربعةوعشرون ألفاً([[432]](#footnote-432))،فإن صح الحديث فهو خبر معصوم يجب علينا الإيمان به، وإن لم يصح فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ ([[433]](#footnote-433)).
* إن إعطاء المال على حبه من البر، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به وقال: إن الله يقول: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ([[434]](#footnote-434)).
* ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾ وهو كل ما يتموله الإنسان من مال، قليلا كان أو كثيرا، أي: أعطى المال ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ أي: حب المال، بيَّن به أن المال محبوب للنفوس، فلا يكاد يخرجه العبد، ومن أخرج المال مع حبه له تقربا إلى الله تعالى، كان هذا برهانا لإيمانه، ومن إيتاء المال على حبه، أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يأمل الغنى، ويخشى الفقر، وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلة، كانت أفضل، لأنه في هذه الحال، يحب إمساكه، لما يتوهمه من العدم والفقر([[435]](#footnote-435)).
* إن إعطاء ذوي القربى أولى من إعطاء اليتامى، والمساكين، لأن الله بدأ بهم، فقال تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾.
* إن لليتامى حقاً، لأن الله امتدح من آتاهم المال، لقوله تعالى: ﴿ وَالْيَتَامَى ﴾ سواء كانوا فقراء، أم أغنياء([[436]](#footnote-436)).
* إثبات رحمة الله عز وجل، حيث ندب إلى إتيان المال لليتامى، والمساكين، لأن هذا لا شك من الرحمة بهم.
* إن إعطاء السائل من البر وإن كان غنياً، لعموم قوله تعالى﴿ وَالسَّائِلِينَ ﴾([[437]](#footnote-437)).
* ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ أي: الذين تعرض لهم حاجة من الحوائج، توجب السؤال، كمن ابتلي بأرش جناية، أو ضريبة عليه من ولاة الأمور، أو يسأل الناس لتعمير المصالح العامة، كالمساجد، والمدارس، والقناطر، ونحو ذلك، فهذا له حق وإن كان غنيا ([[438]](#footnote-438)).
* إن إعتاق الرقاب من البر، لقوله تعالى: ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾، والمال المبذول في الرقاب لا يعطى الرقبة، وإنما يعطى مالك الرقبة، فلهذا أتى بـ ﴿فِي﴾ الدالة على الظرفية،([[439]](#footnote-439)) والرقاب ذكر أهل العلم إنها ثلاثة انواع:

أ ــــ عبد مملوك تشتريه، وتعتقه.

ب ــــ مكاتب اشترى نفسه من سيده، فأعنته في كتابته.

ج ــــ أسير مسلم عند الكفار، فافتديته، وكذلك لو أسر عند غير الكفار، مثل الذين يختطفون الآن ــــ والعياذ بالله ــــ، إذا طلب المختطفون فدية فإنه يفك من الزكاة، لأن فيها فك رقبة من القتل.

* ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ فيدخل فيه العتق والإعانة عليه، وبذل مال للمكاتب ليوفي سيده، وفداء الأسرى عند الكفار أو عند الظلمة([[440]](#footnote-440)).
* إن إقامة الصلاة من البر، لقوله تعالى: ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾ ([[441]](#footnote-441)).
* إن إيتاء الزكاة للمستحقين لها من البر.
* ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ أن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة، لكونهما أفضل العبادات، وأكمل القربات، عبادات قلبية، وبدنية، ومالية، وبهما يوزن الإيمان، ويعرف ما مع صاحبه من الإيقان([[442]](#footnote-442)).
* الثناء على الموفين بالعهد، وإن الوفاء به من البر، والعهد عهدان: عهد مع الله عز وجل، وعهد مع الخلق([[443]](#footnote-443)).فالعهد الذي عهد الله به إلينا إن نؤمن به رباً، فنرضى بشريعته، بل بأحكامه الكونية، والشرعية، هذا العهد الذي بيننا، وبين ربنا. أما العهد الذي بيننا، وبين الناس فأنواعه كثيرة جداً غير محصورة، منها العقود، مثل عقد البيع، وعقد الإجارة، وعقد الرهن، وعقد النكاح، وغير ذلك.
* ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ والعهد: هو الالتزام بإلزام الله أو إلزام العبد لنفسه. فدخل في ذلك حقوق الله كلها، لكون الله ألزم بها عباده والتزموها، ودخلوا تحت عهدتها، ووجب عليهم أداؤها، وحقوق العباد، التي أوجبها الله عليهم، والحقوق التي التزمها العبد كالأيمان والنذور، ونحو ذلك([[444]](#footnote-444)).
* إن الصبر من البر([[445]](#footnote-445))، وهو ثلاثة انواع:

الأول: الصبر على طاعة الله، بان يتحمل الصبر على الطاعة من غير ضجر، ولا كراهة.

الثاني: الصبر عن معصية الله، بان يحمل نفسه على الكف عن معصية الله إذا دعته نفسه إليها.

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة التي لا تلائم الطبيعة بان لا يتسخط من المقدور، ولا يتضجر، بل يحبس نفسه عن ذلك: قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾([[446]](#footnote-446)).

* ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ أي: الفقر، لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة، لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل لغيره([[447]](#footnote-447)).
* ﴿ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾الشِّدَّةُ وَالْفَقْرُ. وَالضَّرَّاءُ: الْمَرَضُ وَالزَّمَانَةُ ([[448]](#footnote-448)).
* ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ إن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم، وإن جاع أو جاعت عياله تألم، وإن أكل طعاما غير موافق لهواه تألم، وإن عرى أو كاد تألم، وإن نظر إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم، وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم([[449]](#footnote-449)).
* ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ أي: المرض على اختلاف أنواعه، من حمى، وقروح، ورياح، ووجع عضو، حتى الضرس والإصبع ونحو ذلك، فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك؛ لأن النفس تضعف، والبدن يألم، وذلك في غاية المشقة على النفوس، خصوصا مع تطاول ذلك، فإنه يؤمر بالصبر، احتسابا لثواب الله تعالى.
* ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي: وقت الحرب([[450]](#footnote-450)).
* ويجزع الإنسان من القتل، أو الجراح أو الأسر، فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتسابا، ورجاء لثواب الله تعالى الذي منه النصر والمعونة، التي وعدها الصابرين.
* ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة، والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية، فأولئك هم ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم، لأن أعمالهم صدقت إيمانهم([[451]](#footnote-451)).
* ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾، صدقوا في اعتقاداتهم، وفي معاملاتهم مع الله، ومع الخلق.
* ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ دليل على إن القيام بالبر من التقوى، لأن حقيقة الأمر أن القائم بالبر يرجو ثواب الله، ويخشى عقاب الله([[452]](#footnote-452)).

# القسم الثاني والخمسون: الآية 178-179

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)**

* كُتِبَ: فُرِضَ.
* الْقِصاصُ: الأخذ من الجاني مثل ما جنى من قص الأثر وهو تلوه.
* عُفِيَ لَهُ: من العفو وهو اسقاط العقوبة.
* الْأَلْبابِ: العقول، واحدها لبّ.
* أهمية القصاص، لأن الله وجه الخطاب به إلى المؤمنين، وصدره بالنداء المستلزم للتنبيه، وتصدير الخطاب بالنداء فائدته التنبيه، وأهمية الأمر([[453]](#footnote-453)).
* شرع المولى الحكيم العليم القصاص، وأوجب تنفيذه على الحكام، صيانة لدماء الناس، ومحافظة على أرواح الأبرياء، وقضاء على الفتنة في مهدها([[454]](#footnote-454)).
* يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض عليهم ﴿الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل على الصفة، التي قتل عليها المقتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد([[455]](#footnote-455)).
* تنفيذ القصاص من مقتضى الإيمان، لأن الخطاب موجه للمؤمنين([[456]](#footnote-456)).
* توجيه الخطاب لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من القاتل، وأنه لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد، ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية([[457]](#footnote-457)).
* إذا همّ أحدٌ بقتل أخيه، أو تهيب خيفةً من القصاص، فكفّ عن القتل، فكان في ذلك حياةً له، وحياة لمن أراد قتله، وحياة لأفراد المجتمع([[458]](#footnote-458)).
* ترك تنفيذ القصاص نقص في الإيمان، فما كان من مقتضى الإيمان تنفيذه فإنه يقتضي نقص الإيمان بتركه([[459]](#footnote-459)).
* وجوب التمكين من القصاص، لقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾.
* أخذ الجاني بجنايته يكون زاجراً له ولغيره، ورادعاً لأهل البغي والعدوان([[460]](#footnote-460)).
* مراعاة التماثل بين القاتل، والمقتول، لقوله تعالى: ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾ ([[461]](#footnote-461)).
* ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يدخل بمنطوقها، الذكر بالذكر، ﴿وَالأنْثَى بِالأنْثَى﴾ والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، فيكون منطوقها مقدما على مفهوم قوله: "الأنثى بالأنثى "مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى ([[462]](#footnote-462)).
* الحر يقتل بالحر - ولو اختلفت صفاتهما، كرجل عالم عاقل غني جواد شجاع قتل رجلاً فقيراً أعمى أصم أبكم زمِناً جباناً جاهلاً فإنه يقتل به، لعموم قوله تعالى: ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ ﴾ ([[463]](#footnote-463)).
* العبد يقتل بالحر، لأنه إذا قُتل الحر بالحر فمن باب أولى أن يقتل العبد بالحر.
* وخرج من عموم هذا الأبوان وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: ﴿الْقِصَاصُ﴾ ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو أذية شديدة جدا من الولد له([[464]](#footnote-464)).
* العبد يقتل بالعبد ولو اختلفت قيمتهما، لعموم قوله تعالى: ﴿ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ﴾، فلو قتل عبد يساوي مائة ألف عبداً لا يساوي إلا عشرة دراهم فإنه يقتل به، لعموم قوله تعالى: ﴿ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ﴾.
* الحر يقتل بالعبد، لعموم قوله تعالى﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾([[465]](#footnote-465))، وقول النبي : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس... » ([[466]](#footnote-466)).
* الأنثى تقتل بالأنثى - ولو اختلفت صفاتهما - لعموم قوله تعالى: ﴿ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾ ([[467]](#footnote-467)).
* الأنثى تقتل بالرجل، لأنها إذا قتلت بالأنثى فإنها من باب أولى تقتل بالرجل، ودلالة الآية عليه من باب مفهوم الأولوية.
* الرجل لا يقتل بالمرأة، لأنه أعلى منها، هذا مفهوم الآية، والصواب أنه يقتل بها، لأن النبي قتل يهودياً كان قتل جارية على أوضاح لها - رض رأسها بين حجرين ([[468]](#footnote-468))، فرض النبي رأسه بين حجرين، وهذا يدل أن قتله كان قصاصاً، لا لنقض العهد - كما قيل به([[469]](#footnote-469)).
* إذا بقي المعتدي يرتع، دون جزاءٍ أو عقاب، أدّى ذلك إلى إثارة الفتن، واضطراب الأمن، وتعريض المجتمع إلى سفك الدماء البريئة أخذاً بالثأر. والإسلام راعى ذلك فقرّر شريعة القصاص، حتى يستلّ لأحقاد من القلوب، ويقضي على أسباب البغي والخصام، والعدوان([[470]](#footnote-470)).
* وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فلهذا قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصاص، وتجب الدية، وتكون الخيرة في القود واختيار الدية إلى الولي([[471]](#footnote-471)).
* جواز العفو عن القصاص إلى الدية، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ([[472]](#footnote-472)).
* في الوقت الذي يفرض فيه الإسلام القصاص، يحبّب في العفو، ويرسم له الحدود، فتكون الدعوة إليه بعد تقرير القصاص العدل، دعوة إلى التسامي في حدود التطوع، لا إلزاماً يكبت فطرة الإنسان، ويحملها مالا تطيق ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فاتباع بالمعروف وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾([[473]](#footnote-473))**.**
* إذا عفا عنه وجب على الولي، أي: ولي المقتول أن يتبع القاتل ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا يطيق، بل يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يحرجه([[474]](#footnote-474)).
* العفو المندوب إليه ما كان فيه إصلاح، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾ ([[475]](#footnote-475)) ([[476]](#footnote-476)).
* وعلى القاتل ﴿أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ من غير مطل ولا نقص، ولا إساءة فعلية أو قولية، فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو، إلا الإحسان بحسن القضاء، وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان، مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق، بالأداء بإحسان ([[477]](#footnote-477)).
* إذا عفا بعض الأولياء عن القصاص سقط القصاص في حق الجميع، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ ([[478]](#footnote-478)).
* دية العمد على القاتل، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾، ولا شك أن المعفو عنه هو القاتل، وقد أمر بالأداء([[479]](#footnote-479)).
* وفي قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجانا([[480]](#footnote-480)).
* فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾، فجعل الله المقتول أخاً للقاتل، ولو خرج من الإيمان لم يكن أخاً له([[481]](#footnote-481)).
* وفي قوله: ﴿أَخِيهِ﴾ دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه([[482]](#footnote-482)).
* كان في بني إِسرائيل القصاص ولم يكن فيهم الدية، وكان في النصارى الدية ولم يكن فيهم القصاص، فأكرم الله هذه الأمة المحمدية وخيرّها بين القصاص والدية والعفو، وهذا من يسر الشريعة الغراء التي جاء بها سيَّد الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.
* سمّى الله القاتل أخاً لولي المقتول ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ تذكيراً بالأخوَّة الدينية والبشرية حتى يهزّ عطف كل واحد منهما إِلى الآخر فيقع بينهم العفو والاتباع بالمعروف والأداء بالإِحسان([[483]](#footnote-483)).
* محاسن الشرع الإسلامي وما فيه من اليسر والرحمة حيث أجاز العفو والدية بدل القصاص([[484]](#footnote-484)).
* يجب الاتباع بالمعروف ــــ يعني يجب على أولياء المقتول إذا عفوا إلى الدية ألا يتسلطوا على القاتل، بل يتبعونه بالمعروف بدون أذية، وبدون منة، لقوله تعالى: ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾، والخطاب لأولياء المقتول.
* خفف الله عن هذه الأمة بجواز العفو، ورحمهم بجواز أخذ العوض، لقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾: تخفيف على القاتل، ورحمة بأولياء المقتول، حيث أذن لهم أن يأخذوا عوضاً، وإلا لقيل لهم: إما أن تعفوا مجاناً، وإما أن تأخذوا بالقصاص([[485]](#footnote-485)).
* إذا عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل، وصار معصوما منهم ومن غيرهم، ولهذا قال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الآخرة([[486]](#footnote-486)).
* إن المعتدي بعد انتهاء القصاص، أو أخذ الدية متوعد بالعذاب الأليم سواء كان من أولياء المقتول، أو من القاتل، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ([[487]](#footnote-487)).
* بلاغة القرآن الكريم، إذ كان حكماء العرب في الجاهلية يقولون: القتل أنفى للقتل، فقال القرآن: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾. فلم يذكر لفظ القتل بالمرة فنفاه لفظاً وواقعاً([[488]](#footnote-488)).
* ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي: تنحقن بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رئي القاتل مقتولا انذعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف الشر، الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية والانزجار، ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكَّر "الحياة "لإفادة التعظيم والتكثير([[489]](#footnote-489)).
* الحكمة العظمى في القصاص، وهي الحياة الكاملة، لقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ([[490]](#footnote-490)).
* نقل المولى - جل وعلا - بهذا التشريع الحكيم العقوبات، من معنى انتقامي إلى معنى سام جليل، فقد كانت العقوبات السالفة، انتقاماً ينتقم بها المجتمع من المجرمين، أو ينتقم بها أهل القتيل من أهل المقتول، فلا يقبلون حتى يسفكوا مقابل الدم الواحد الدماء البريئة ويزهقوا الأرواح. وربما قتلوا بالرجل مائة رجل، فجعل الله الغرض منها الاستصلاح ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ([[491]](#footnote-491))**.**
* يجب أن يُفعل بالجاني كما فَعل، لأن بذلك يتم القصاص، فإذا قتل بسكين قُتل بمثلها، أو بحجر قُتل بمثله، أو بسمّ قُتل بمثله، وهكذا([[492]](#footnote-492)).
* ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾أَنَّ الْقِصَاصَ إِذَا أُقِيمَ وَتَحَقَّقَ الْحُكْمُ فِيهِ ازْدُجِرَ مَنْ يُرِيدُ قَتْلَ آخَرَ، مَخَافَةَ أَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ فَحَيِيَا بِذَلِكَ مَعًا. واتَّفَقَ أَئِمَّةُ الْفَتْوَى عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْ أَحَدٍ حَقَّهُ دُونَ السُّلْطَانِ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ أَنْ يَقْتَصَّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِسُلْطَانٍ أَوْ مَنْ نَصَّبَهُ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ، وَلِهَذَا جَعَلَ اللَّهُ السُّلْطَانَ لِيَقْبِضَ أَيْدِيَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ([[493]](#footnote-493)).
* كون القصاص حياة يحتاج إلى تأمل وعقل، لقوله تعالى﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾.
* يجب على الإنسان أن يؤمن بأحكام الشريعة دون تردد، وإذا رأى ما يستبعده في بادئ الأمر فليتأمل وليتعقل حتى يتبين له أنه عين الحكمة، والمصلحة، ولهذا قال تعالى: ﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾، فأتى بالنداء المقتضي للانتباه([[494]](#footnote-494)).
* وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين([[495]](#footnote-495)).
* ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فَتَسْلَمُونَ مِنَ الْقِصَاصِ، ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ دَاعِيَةً لِأَنْوَاعِ التَّقْوَى فِي غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ بِالطَّاعَةِ عَلَى الطَّاعَةِ([[496]](#footnote-496)).
* من فوائد القصاص أن يتقي الجناة القتل، لقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾([[497]](#footnote-497))، واتقاؤهم للقتل من تقوى الله([[498]](#footnote-498)).

# القسم الثالث والخمسون: الآية 180-182

**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182)**

* إِنْ تَرَكَ خَيْراً: الخير: المال.
* جَنَفاً: ميلا وعدولا عن الحق.
* الْوَصِيَّةُ: كل شيء يؤمر بفعله وتنفيذه بعد الموت.
* إِثْمًا: تعمد الظلم.
* وجوب الوصية للوالدين والأقربين لمن ترك مالاً كثيراً، لقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ ([[499]](#footnote-499)).
* ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه، كالمرض المشرف على الهلاك، وحضور أسباب المهالك([[500]](#footnote-500)).
* الوالدان ليسا من الأقربين، لأنّ القريب من يدلي إلى غيره بواسطة، كالأخ والعمّ ونحوهما، والوالدان ليسا كذلك، ولو كانا منهم لكان تخصيصهما بالذّكر لشرفهما، كقوله تعالى: ﴿ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾([[501]](#footnote-501))([[502]](#footnote-502)).
* تأكد الوصية حضر الموت أو لم يحضر لمن له أو عليه حقوق خشية أن يموت فتضيع الحقوق فيأثم بإضاعتها([[503]](#footnote-503)).
* جواز الوصية للصحيح، والمريض، ومن حضره الموت ([[504]](#footnote-504)).
* جواز الوصية بما شاء من المال ([[505]](#footnote-505)).
* ﴿تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: مالا، وهو المال الكثير عرفا، فعليه أن يوصي لوالديه وأقرب الناس إليه بالمعروف، على قدر حاله من غير سرف، ولا اقتصار على الأبعد، دون الأقرب، بل يرتبهم على القرب والحاجة، ولهذا أتى فيه بأفعل التفضيل([[506]](#footnote-506)).
* الوصية الواجبة إنما تكون فيمن خلّف مالاً كثيراً، لقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ﴾ ([[507]](#footnote-507)).
* الوصية ليست مقيدة بجزء معين من المال، بل هي بالمعروف([[508]](#footnote-508)).
* أهمية صلة الرحم، حيث أوجب الله الوصية للوالدين والأقربين بعد الموت ([[509]](#footnote-509)).
* وقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو: الثابت، وقد جعله الله من موجبات التقوى([[510]](#footnote-510)).
* تأكيد وجوب الوصية على من ترك مالاً كثيراً لمن ذُكر، وجه التوكيد قوله تعالى: ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ ([[511]](#footnote-511)).
* إن من فعل الخير، ثم غُيِّر بعده كُتب له ما أراد، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾.
* إن من بدل الوصية جهلاً فلا إثم عليه، لقوله تعالى: ﴿ بَعْدَمَا سَمِعَهُ ﴾.
* ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ أي: بعدما عقله، وعرف طرقه وتنفيذه، ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ وإلا فالموصي وقع أجره على الله، وإنما الإثم على المبدل المغير([[512]](#footnote-512)).
* تحريم تغيير الوصية، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾، فيجب العمل بوصية الموصي على حسب ما أوصى إلا أن يكون جنفاً أو إثماً([[513]](#footnote-513)).
* ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة الموصي ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجور في وصيته.﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته، وعليم بعمل الموصى إليه، فإذا اجتهد الموصي، وعلم الله من نيته ذلك، أثابه ولو أخطأ، وفيه التحذير للموصى إليه من التبديل، فإن الله عليم به، مطلع على ما فعله، فليحذر من الله، هذا حكم الوصية العادلة([[514]](#footnote-514)).
* إحاطة الله عز وجل بكل أعمال الخلق، لأن قوله تعالى: ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ذكر عقب التهديد في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾، وهذا يدل على أن الله يسمع، ويعلم ما يبدله الوصي([[515]](#footnote-515)).
* إن من خاف جوراً أو معصية من موصٍ فإنه يصلح ([[516]](#footnote-516)).
* ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهم﴾ مَنْ خَافَ أي علم وراي وأتى علمه بَعْدَ مَوْتِ الْمُوصِي أَنَّ الْمُوصِيَ جَنَفَ وَتَعَمَّدَ أَذِيَّةَ بَعْضِ وَرَثَتِهِ فَأَصْلَحَ مَا وَقَعَ بَيْنَ الْوَرَثَةِ مِنَ الِاضْطِرَابِ وَالشِّقَاقِ([[517]](#footnote-517)).
* رفع الإثم عن الوصي إذا أصلح لخوفه جنفاً، أو إثماً([[518]](#footnote-518)).
* ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ أَيْ لَا يَلْحَقُهُ إِثْمُ الْمُبَدِّلِ الْمَذْكُورُ قَبْلُ. وَإِنْ كَانَ فِي فِعْلِهِ تَبْدِيلٌ مَا وَلَا بُدَّ، وَلَكِنَّهُ تَبْدِيلٌ لِمَصْلَحَةٍ. وَالتَّبْدِيلُ الَّذِي فِيهِ الْإِثْمُ إِنَّمَا هُوَ تَبْدِيلُ الْهَوَى([[519]](#footnote-519)).
* فضيلة الإصلاح، لقوله تعالى: ﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ﴾، فإن في الإصلاح درء الإثم عن الموصي، وإزالة العداوة، والشحناء بين الموصى إليهم والورثة.

القسم الرابع والخمسون

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)**

* كُتِبَ عَلَيْكُمُ: فرض.
* الصِّيَامُ: لغة الإمساك، وشرعاً: الإمساك عن شهوات البطن والفرج وما يقوم مقامهما.
* يُطِيقُونَهُ: من الطاقة، وهي القدرة على الشيء.
* الْفُرْقَانِ: الذي يفرق بين الحق والباطل، وهو القرآن الكريم.
* أهمية الصيام، لأن الله تعالى صدره بالنداء، وأنه من مقتضيات الإيمان، لأنه وجه الخطاب إلى المؤمنين، وأنّ تركه مخل بالإيمان([[520]](#footnote-520)).
* فرضية الصيام، لقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ ﴾.
* فرض الصيام على من قبلنا من الأمم، لقوله تعالى: ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾،والتشبيه في أصل الصوم لا في كيفيّته أو في كيفيّة الإفطار([[521]](#footnote-521)).
* تسلية الإنسان بما ألزم به غيره ليهون عليه القيام به، لقوله تعالى: ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ([[522]](#footnote-522)).
* ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه([[523]](#footnote-523)).
* الحكمة في إيجاب الصيام، وهي تقوى الله، لقوله تعالى﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾([[524]](#footnote-524)).
* ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقربا بذلك إلى الله، راجيا بتركها، ثوابه، فهذا من التقوى([[525]](#footnote-525)).
* الصيام عبودية لله، وامتثال لأوامره، واتقاء لحرماته، ولهذا جاء في الحديث القدسي: «كل عمل آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي» فشعور الإنسان بالعبودية لله عَزَّ وَجَلَّ، والاستسلام لأمره وحكمه، وهو أسمى أهداف العبادة وأقصى غاياتها، بل هو الأصل والأساس الذي ترتكز عليه حكمة خلق الإنسان ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العالمين﴾([[526]](#footnote-526)).
* مما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى([[527]](#footnote-527)).
* في الصيام تربية للنفس، وتعويدها على الصبر وتحمل المشاق في سبيل الله، فالصيام يربي قوة العزيمة، وقوة الإرادة، ويجعل الإنسان متحكماً في أهوائه ورغباته، فلا يكون عبداً للجسد، ولا أسيراً للشهوة، وإنما يسير على هدي الشرع، ونور البصيرة والعقل، وشتّان بين إنسان تتحكّم فيه أهواؤه وشهواته فهو يعيش كالحيوان لبطنه وشهوته، وبين إنسان يقهر هواه ويسيطر على شهوته، فهو ملاك من الملائكة ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأنعام والنار مَثْوًى لَّهُمْ﴾([[528]](#footnote-528)).
* يربي الصوم في الإنسان، ملكة الحب والعطف والحنان، ويجعل منه إنساناً رقيق القلب، طيّب النفس، ويحرّك فيه كامن الإيمان، فليس الصيام حرماناً للإنسان عن الطعام والشراب، بل هو تفجير للطاقة الروحية في نفس الإنسان، ليشعر بشعور إخوانه، ويُحسّ بإحساسهم، فيمدّ إليهم يد المساعدة والعون، ويمسح دموع البائسين، ويزيل أحزان المنكوبين، بما تجود به نفسه الخيّرة الكريمة التي هذّبها شهر الصيام، ولقد قيل ليوسف الصدّيق عليه السلام: «لم تجوع وأنتَ على خزائن الأرض فقال: أخشى إن أنا شبعتُ أن أنسى الجائع»([[529]](#footnote-529)).
* فضل التقوى، وأنه ينبغي سلوك الأسباب الموصلة إليها، لأن الله أوجب الصيام لهذه الغاية العظيمة، ويدل على عظمها أنها وصية الله للأولين، والآخرين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ ﴾ ([[530]](#footnote-530)).
* حكمة الله سبحانه وتعالى بتنويع العبادات، لأننا إذا تدبرنا العبادات وجدنا أن العبادات متنوعة، منها ما هو مالي محض، ومنها ما هو بدني محض، ومنها ما هو مركب منهما: بدني، ومالي.
* الصوم أيامه قليلة، لقوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾.
* التعبير بكلمات يكون بها تهوين الأمر على المخاطب، لقوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾([[531]](#footnote-531)).
* المشقة تجلب التيسير، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾، لأن المرض، والسفر مظنة المشقة.
* جواز الفطر للمرض([[532]](#footnote-532)).
* ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ﴾ فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملا كان، أو ناقصا، وعلى أنه يجوز أن يقضي أياما قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس([[533]](#footnote-533)).
* جواز الفطر في السفر، لقوله تعالى: ﴿ أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾.
* السفر الذي يباح فيه الفطر غير مقيد بزمن، ولا مسافة، لإطلاق السفر في الآية، وعلى هذا يرجع فيه إلى العرف: فما عده الناس سفراً فهو سفر.
* العاجز عن الصيام عجزاً لا يرجى زواله فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً ([[534]](#footnote-534)).
* يرجع في الإطعام في كيفيته ونوعه إلى العرف، لأن الله تعالى أطلق ذلك، والحكم المطلق إذا لم يكن له حقيقة شرعية يرجع فيه إلى العرف([[535]](#footnote-535)).
* ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: مَنْ أَرَادَ الْإِطْعَامَ مَعَ الصَّوْمِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَنْ زَادَ فِي الْإِطْعَامِ عَلَى الْمُدِّ([[536]](#footnote-536)).
* طاعة الله ــــ تبارك وتعالى ــــ كلها خير، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ ([[537]](#footnote-537)).
* ثبوت تفاضل الأعمال، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾، وتفاضل الأعمال يستلزم تفاضل العامل، فينبني على ذلك أن الناس يتفاضلون في الأعمال.
* التنبيه على فضل العلم، لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
* في الصيام فوائد دينية واجتماعية عظيمة أشير إليها بلفظ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾([[538]](#footnote-538)).
* بيان الأيام المعدودات التي أبهمها الله عز وجل في الآيات السابقة، بأنها شهر رمضان.
* عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-« أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ »([[539]](#footnote-539)).
* أنزل الله تعالى القرآن في هذا الشهر،وقد أنزله جل وعلا مفرقاً، فيلزم من ذلك أن لا يكون القرآن كله نزل في هذا الشهر([[540]](#footnote-540)).
* ما تضمنه القرآن من الهداية لجميع الناس، لقوله تعالى: ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾.
* القرآن الكريم متضمن لآيات بينات واضحة لا تخفى على أحد إلا على من طمس الله قلبه فلا فائدة في الآيات، كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾([[541]](#footnote-541)).
* القرآن الكريم فرقان يفرق بين الحق، والباطل، وبين النافع، والضار، وبين أولياء الله، وأعداء الله، وغير ذلك من الفرقان فيما تقتضي حكمته التفريق فيه([[542]](#footnote-542)).
* وجوب الصوم متى ثبت دخول شهر رمضان، وشهر رمضان يثبت دخوله إما بإكمال شعبان ثلاثين يوماً، أو برؤية هلاله، وقد جاءت السنة بثبوت دخوله إذا رآه واحد يوثق بقوله ([[543]](#footnote-543)).
* لا يجب الصوم قبل ثبوت دخول رمضان.
* تيسير الله - تبارك وتعالى - على عباده، حيث رخص للمريض الذي يشق عليه الصوم، وللمسافر مطلقاً أن يفطرا، ويقضيا أياماً أخر([[544]](#footnote-544)).
* إثبات الإرادة لله عز وجل، لقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾([[545]](#footnote-545)).
* شريعة الله سبحانه وتعالى مبنية على اليسر، والسهولة، لأن ذلك مراد الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ([[546]](#footnote-546)).
* وكان صلى الله عليه وسلم يبعث البعوث، ويقول: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» ([[547]](#footnote-547))«فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»([[548]](#footnote-548)).
* انتفاء الحرج والمشقة والعسر في الشريعة، لقوله عز وجل: ﴿ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾.
* إذا دار الأمر بين التحليل، والتحريم فيما ليس الأصل فيه التحريم فإنه يغلب جانب التحليل، لأنه الأيسر، والأحب إلى الله([[549]](#footnote-549)).
* ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ وهذا - والله أعلم - لئلا يتوهم متوهم، أن صيام رمضان، يحصل المقصود منه ببعضه، دفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته، ويشكر الله تعالى عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده، وبالتكبير عند انقضائه، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد([[550]](#footnote-550)).
* مشروعية التكبير عند تكميل العدة، لقول الله تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ ([[551]](#footnote-551)).
* قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَقٌّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِذَا رَأَوْا هِلَالَ شَوَّالٍ أَنْ يُكَبِّرُوا وَرُوِيَ عَنْهُ: يُكَبِّرُ الْمَرْءُ مِنْ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ إِلَى انْقِضَاءِ الْخُطْبَةِ، وَيُمْسِكُ وَقْتَ خُرُوجِ الْإِمَامِ وَيُكَبِّرُ بِتَكْبِيرِهِ. قَالَ مَالِكٌ: هُوَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْإِمَامُ. وَالْفِطْرُ وَالْأَضْحَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يُكَبِّرُ فِي الْأَضْحَى ولا يكبر في الفطر([[552]](#footnote-552))
* يشرع الله الشرائع لحكمة وغاية حميدة، لقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾([[553]](#footnote-553)).
* الإشارة إلى أن القيام بطاعة الله من الشكر، ويدل لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾([[554]](#footnote-554))، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾([[555]](#footnote-555))، وهذا يدل على أن الشكر هو العمل الصالح.

# القسم الخامس والخمسون: الآية 186-187

**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)**

* الرَّفَث: النّكاح، وقيل أيضا: الإفصاح بما يجب أن تكنى عنه من ذكر النّكاح. أراد بالنّكاح الوطء لا العقد. وقيل: الأصل فيه فحش القول.
* لَيْلَةَ الصِّيَامِ: الليلة التي يصبح فيها المرء صائماً.
* لِبَاسٌ: اللباس: الملابسة والمخالطة.
* عَاكِفُونَ: ماكثون في المسجد طاعة لله وتقرباً إليه.
* تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ: تفتعلون، من الخيانة وهي انتقاض الحق على جهة المساترة.
* بَاشِرُوهُنَّ: جامعوهن. والمباشرة: الجماع، سمّي بذلك لمسّ البشرة البشرة. والبشرة: ظاهر الجلد، والأدمة: باطنه.
* وَابْتَغُوا: اطلبوا.
* الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ: بياض النّهار.
* الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ: سواد اللّيل.
* حُدُودُ اللَّهِ: ما حدّه لكم. والحدّ: النّهاية التي إذا بلغها المحدود له امتنع.
* إن الصيام مظنة إجابة الدعاء، لأن الله سبحانه وتعالى ذكر ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾في أثناء آيات الصيام، ولا سيما أنه ذكرها في آخر الكلام على آيات الصيام([[556]](#footnote-556)).
* ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة([[557]](#footnote-557)).
* ينبغي الدعاء في آخر يوم الصيام ــــ أي عند الإفطار.
* رأفة الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي ﴾، حيث أضافهم إلى نفسه تشريفاً، وتعطفاً عليهم([[558]](#footnote-558)).
* والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق([[559]](#footnote-559)).
* إثبات قرب الله سبحانه وتعالى، والمراد قرب نفسه، لأن الضمائر في هذه الآية كلها ترجع إلى الله ([[560]](#footnote-560)).
* إثبات سمع الله، لقوله تعالى: ﴿ أُجِيبُ ﴾، لأنه لا يجاب إلا بعد أن يُسمعَ ما دعا به([[561]](#footnote-561)).
* من دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة([[562]](#footnote-562)).
* إن من شرط إجابة الدعاء أن يكون الداعي صادق الدعوة في دعوة الله عز وجل، بحيث يكون مخلصاً مشعراً نفسه بالافتقار إلى ربه، ومشعراً نفسه بكرم الله، وجوده، لقوله تعالى: ﴿ إِذَا دَعَانِ ﴾([[563]](#footnote-563)).
* يجيب الله تعالى دعوة الداع إذا دعاه، ولا يلزم من ذلك أن يجيب مسألته ([[564]](#footnote-564))
* ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ ([[565]](#footnote-565)).
* الإنابة إلى الله عز وجل، والقيام بطاعته سبب للرشد، لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾([[566]](#footnote-566)).
* الاستجابة لا بد أن يصحبها إيمان، لأن اللهقرن بينهما، في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ ([[567]](#footnote-567)).
* جواز الكلام بين الزوج وزوجته فيما يستحيا منه، لقوله تعالى: ﴿ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾، لأنه مُضَمن معنى الإفضاء([[568]](#footnote-568)).
* جواز استمتاع الرجل بزوجته من حين العقد، لقوله تعالى: ﴿ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ما لم يخالف شرطاً بين الزوجين([[569]](#footnote-569)).
* الزوجة ستر للزوج، وهو ستر لها، وأن بينهما من القرب كما بين الثياب، ولابسيها، ومن التحصين للفروج ما هو ظاهر، لقوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ ([[570]](#footnote-570)).
* ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ أَصْلُ اللِّبَاسِ فِي الثِّيَابِ، ثُمَّ سُمِّيَ امْتِزَاجُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ بِصَاحِبِهِ لباسا، لانضمام الْجَسَدِ وَامْتِزَاجِهِمَا وَتَلَازُمِهِمَا تَشْبِيهًا بِالثَّوْبِ. وَقِيلَ: لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سِتْرٌ لِصَاحِبِهِ فِيمَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْجِمَاعِ مِنْ أَبْصَارِ النَّاسِ. قال مُجَاهِدٌ: أَيْ سَكَنٌ لَكُمْ، أَيْ يَسْكُنُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ([[571]](#footnote-571)).
* إثبات العلة في الأحكام، لقوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ﴾، لأن هذه الجملة لتعليل التحليل([[572]](#footnote-572)).
* ﴿ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ يَسْتَأْمِرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي مُوَاقَعَةِ الْمَحْظُورِ مِنَ الْجِمَاعِ وَالْأَكْلِ بَعْدَ النَّوْمِ فِي ليالي الصوم. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَخُونُهَا، وَسَمَّاهُ خَائِنًا لِنَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ كَانَ ضرره عائدا عليه([[573]](#footnote-573)).
* كما يخون الإنسان غيره قد يخون نفسه، وذلك إذا أوقعها في معاصي الله، فإن هذا خيانة، وعلى هذا فنفس الإنسان أمانة عنده، لقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ([[574]](#footnote-574)).
* ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾، يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا- قَبُولُ التَّوْبَةِ مِنْ خِيَانَتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ. وَالْآخَرُ- التَّخْفِيفُ عَنْهُمْ بِالرُّخْصَةِ وَالْإِبَاحَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ ﴾ ([[575]](#footnote-575)) يَعْنِي خَفَّفَ عَنْكُمْ([[576]](#footnote-576)).
* إثبات التوبة لله، لقوله تعالى﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾، وهذه من الصفات الفعلية([[577]](#footnote-577)).
* ﴿ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ يَحْتَمِلُ الْعَفْوَ مِنَ الذَّنْبِ، وَيَحْتَمِلُ التَّوْسِعَةَ وَالتَّسْهِيلَ([[578]](#footnote-578)).
* ثبوت النسخ خلافاً لمن أنكره، وهو في هذه الآية صريح، لقوله تعالى: ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ يعني: وقبل الآن لم يكن حلالاً([[579]](#footnote-579)).
* ﴿فالآن﴾ بعد هذه الرخصة والسعة من الله ﴿باشروهن﴾ وطأ وقبلة ولمسا وغير ذلك([[580]](#footnote-580)).
* جواز مباشرة الزوجة على الإطلاق بدون تقييد، ويستثنى من ذلك الوطء في الدبر، والوطء حال الحيض، أو النفاس([[581]](#footnote-581)).
* ينبغي أن يكون الإنسان قاصداً بوطئه طلب الولد، لقوله تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾ ([[582]](#footnote-582)).
* ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي: انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى والمقصود الأعظم من الوطء، وهو حصول الذرية وإعفاف فرجه وفرج زوجته، وحصول مقاصد النكاح([[583]](#footnote-583)).
* جواز الأكل، والشرب، والجماع في ليالي الصيام حتى يتبين الفجر، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ فإن تبين أن أكله، وشربه، وجماعه، كان بعد طلوع الفجر فلا شيء عليه([[584]](#footnote-584)).
* ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ هذا غاية للأكل والشرب والجماع، وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكا في طلوع الفجر فلا بأس عليه. وفيه: دليل على استحباب السحور للأمر، وأنه يستحب تأخيره أخذا من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد. وفيه أيضا دليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو جنب من الجماع قبل أن يغتسل، ويصح صيامه، لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه الفجر وهو جنب، ولازم الحق حق([[585]](#footnote-585)).
* جواز أن يصبح الصائم جنباً ([[586]](#footnote-586)).
* أن الاعتبار بالفجر الصادق الذي يكون كالخيط ممتداً في الأفق([[587]](#footnote-587)).
* بياض النهار، وسواد الليل يتعاقبان، فلا يجتمعان، لقوله تعالى: ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾([[588]](#footnote-588)).
* من الأفضل المبادرة بالفطر، لقوله تعالى: ﴿ إِلَى اللَّيْلِ ﴾، وقد جاءت السنة بذلك صريحاً، كما في قوله : «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» ([[589]](#footnote-589)).
* الصيام الشرعي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾.
* ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ دلت الآية على مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، وانقطاعا إليه، وأن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد الذي يقام فيه الصلوات الخمس، وفي الآية دليل على أن الوطء من مفسدات الاعتكاف([[590]](#footnote-590)).
* الإشارة إلى مشروعية الاعتكاف، لأن الله أقره، ورتب عليه أحكاماً، وقوله تعالى: ﴿ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ بيان للواقع، لأن الاعتكاف المشروع لا يكون إلا في المساجد([[591]](#footnote-591)).
* النهي عن مباشرة النساء حال الاعتكاف.
* استنبط بعض أهل العلم أن الاعتكاف يكون في أواخر شهر رمضان ([[592]](#footnote-592)).
* ﴿تلك﴾ المذكورات - وهو تحريم الأكل والشرب والجماع ونحوه من المفطرات في الصيام، وتحريم الفطر على غير المعذور، وتحريم الوطء على المعتكف، ونحو ذلك من المحرمات،﴿حدود الله﴾ التي حدها لعباده، ونهاهم عنها([[593]](#footnote-593)).
* أوامر الله حدود له، وكذلك نواهيه، لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ ﴾([[594]](#footnote-594)).
* ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ ﴾ أَيْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ حُدُودُ الله فلا تخالفوها، وَالْحُدُودُ: الْحَوَاجِزُ. وَالْحَدُّ: الْمَنْعُ، وَسُمِّيَتْ حُدُودُ اللَّهِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا، وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا هُوَ مِنْهَا، وَمِنْهَا سُمِّيَتِ الْحُدُودُ فِي الْمَعَاصِي، لأنها تمنع أصحابهما مِنَ الْعَوْدِ إِلَى أَمْثَالِهَا([[595]](#footnote-595)).
* ﴿فلا تقربوها﴾ أبلغ من قوله: "فلا تفعلوها "لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه([[596]](#footnote-596)).
* ينبغي البعد عن المحارم، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ ([[597]](#footnote-597)).
* يبين الله سبحانه وتعالى للناس الآيات الكونية، والشرعية، لقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ ﴾.
* ﴿يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه، فإن الإنسان قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم، ولو علم تحريمه لم يفعله، فإذا بين الله للناس آياته، لم يبق لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سببا للتقوى([[598]](#footnote-598)).
* الآيات الكونية هي المخلوقات، فكل المخلوقات ذواتها، وصفاتها، وأحوالها من الآيات الكونية ([[599]](#footnote-599)).
* الآيات الشرعية: هي ما أنزله الله تعالى على رسله، وأنبيائه من الوحي ([[600]](#footnote-600)).
* كلما ازداد الإنسان علماً بآيات الله ازداد تقًى، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾([[601]](#footnote-601))، ولهذا يقال: من كان بالله أعرف كان منه أخوف.

# القسم السادس والخمسون: الآية 188-189

**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)**

* تَأْكُلُوا: تأخذوا وتستولوا.
* بِالْبَاطِلِ: من دون حق.
* تُدْلُوا: تُلقوا.
* الْإِثْمِ: شهادة الزور أو اليمين الفاجرة.
* الْأَهِلَّةِ: جمع هلال. يقال في أوّل ليلة إلى الثالثة هلال، ثم يقال القمر إلى آخر الشهر. قيل: إنّ الهلال مشتقّ من الإهلال، وهو رفع الصّوت عند رؤيته.
* مَواقِيتُ: جمع ميقات، وهو مفعال من الوقت.
* تحريم أكل المال بالباطل، و «الْبَاطِلِ» كل شيء ليس لك به حق شرعاً([[602]](#footnote-602)).
* ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي: ولا تأخذوا أموالكم أي: أموال غيركم، أضافها إليهم، لأنه ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله؛ ولأن أكله لمال غيره يجرئ غيره على أكل ماله عند القدرة([[603]](#footnote-603)).
* حرص الشارع على حفظ الأموال، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾، ولأن الأموال تقوم بها أمور الدين، وأمور الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ ([[604]](#footnote-604)).
* ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ ولما كان أكلها نوعين: نوعا بحق، ونوعا بباطل، وكان المحرم إنما هو أكلها بالباطل، قيده تعالى بذلك، ويدخل في ذلك أكلها على وجه الغصب والسرقة والخيانة في وديعة أو عارية، أو نحو ذلك، ويدخل فيه أيضا، أخذها على وجه المعاوضة، بمعاوضة محرمة، كعقود الربا، والقمار كلها، فإنها من أكل المال بالباطل، لأنه ليس في مقابلة عوض مباح، ويدخل في ذلك أخذها بسبب غش في البيع والشراء والإجارة، ونحوها([[605]](#footnote-605)).
* كلمة ﴿ وَتُدْلُوا﴾ تبين أن اليد التي تأخذ الرشوة هي اليد السفلى، مع كون الحكام الذين تلقى إليهم الأموال في الأعلى لا في الأسفل، فجاءت لتعبّر عن دناءة المرتشي وسفله ولو كان في الذروة من حيث المنصب وموقع المسئولية.
* قضاء القاضي لا يؤثرُ في تغيير حرمة أكل المال من قوله: ﴿ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ ([[606]](#footnote-606)).
* ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ فمن أدلى إلى الحاكم بحجة باطلة، وحكم له بذلك، فإنه لا يحل له، ويكون آكلا لمال غيره، بالباطل والإثم، وهو عالم بذلك. فيكون أبلغ في عقوبته، وأشد في نكاله([[607]](#footnote-607)).
* إذا علم الوكيل أن موكله مبطل في دعواه، لم يحل له أن يخاصم عن الخائن كما قال تعالى: ﴿وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾([[608]](#footnote-608)).
* لا إثم على الحاكم إذا حكم بما ظهر له وإن كان خلاف الواقع.
* تيسير الله سبحانه وتعالى على الحكام بين الناس، حيث لا يعاقبهم على الأمور الباطنة، وإلا لكان الحكام في حرج، ومشقة.
* من حُكم له بما يعتقد أنه حق فلا إثم عليه ([[609]](#footnote-609)).
* بيان علم الله، وسمعه، ورحمته، لقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾، علم الله بسؤالهم، وسمعه، ورحمهم بالإجابة([[610]](#footnote-610)).
* ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ﴾ جمع - هلال - ما فائدتها وحكمتها؟ أو عن ذاتها([[611]](#footnote-611)).
* إن الحكمة من الأهلة أنها مواقيت للناس في شؤون دينهم، ودنياهم، لقوله تعالى: ﴿ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾([[612]](#footnote-612)).
* ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ أي: جعلها الله تعالى بلطفه ورحمته على هذا التدبير يبدو الهلال ضعيفا في أول الشهر، ثم يتزايد إلى نصفه، ثم يشرع في النقص إلى كماله، وهكذا، ليعرف الناس بذلك، مواقيت عباداتهم من الصيام، وأوقات الزكاة، والكفارات، وأوقات الحج([[613]](#footnote-613)).
* إن ميقات الأمم كلها الميقات الذي وضعه الله لهم ــــ وهو الأهلة ــــ، فهو الميقات العالمي، لقوله تعالى: ﴿ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾.
* إن الحج مقيد بالأشهر، لقوله تعالى: ﴿ وَالْحَجِّ ﴾.
* البر يكون بالتزام ما شرعه الله، والحذر من معصيته، لقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾.
* العادات لا تجعل غير المشروع مشروعاً، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ مع أنهم اعتادوه، واعتقدوه من البر، فمن اعتاد شيئاً يعتقده براً عُرِض على شريعة الله([[614]](#footnote-614)).
* ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلا فالآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود ([[615]](#footnote-615)).
* ينبغي للإنسان أن يأتي الأمور من أبوابها، لقوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ([[616]](#footnote-616)).
* لما نفى أن يكون إتيان البيوت من ظهورها من البر بيّن ما يقوم مقامه، فقال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾.
* وجوب تقوى الله، لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾.
* تسمى التقوى براً، والتقوى سبب للفلاح، لقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾([[617]](#footnote-617)).

# القسم السابع الخمسون: الآية 190-194

**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)**

* وَلَا تَعْتَدُوا:ولا تتجاوزوا الحد فيما أمر الله به أو نهى عنه.
* ثَقِفْتُمُوهُمْ: ظفرتم بهم.
* الْفِتْنَةُ: الابتلاء.
* جَزَاءُ: الجزاء: ما وقع في مقابلة الإحسان أو الإساءة.
* العُدْوَانَ: الاعتداء والظلم، والمراد به القتل.
* الشَّهْرُ الْحَرَامُ: سمي كذلك لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال.
* الْحُرُمَاتُ: ما يجب احترامه والمحافظة عليه.
* قِصَاصٌ: القصاص: مقابلة الشيء بمثله.
* غَفُورٌ: ساتر على عباده ذنوبهم، ومنه المغفر لأنه يغطّي الرأس. وغفرت المتاع في الوعاء، إذا جعلته فيه لأنه يغطّيه ويستره.
* الصراع بين الحق والباطل قديم قدم هذه الحياة، لا يهدأ ولا ينتهي ولا يزول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون!! ([[618]](#footnote-618)).
* وجوب القتال، لقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا ﴾، ووجوب أن يكون في سبيل الله - أي في شرعه، ودينه، ومن أجله -، لقوله تعالى: ﴿ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾.
* لا يذكر في القرآن الكريم لفظ القتال أو الجهاد إِلا ويقرن بكلمة «سبيل الله» وفي ذلك دلالة واضحة على أن الغاية من القتال غاية شريفة نبيلة هي إِعلاء كلمة الله لا السيطرة أو المغنم أو الاستعلاء في الأرض أو غيرها من الغايات الدنيئة([[619]](#footnote-619)).
* ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال، غير الشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال([[620]](#footnote-620)).
* تحريم الاعتداء حتى على الكفار، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا﴾، وعلى المسلمين من باب أولى، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمن يبعثهم، كالسرايا والجيوش: «لا تمثلوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً»، لأن هذا من العدوان([[621]](#footnote-621)).
* ﴿وَلا تَعْتَدُوا﴾ النهي عن الاعتداء، يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل، من النساء، والمجانين والأطفال، والرهبان ونحوهم والتمثيل بالقتلى، وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار ونحوها، لغير مصلحة تعود للمسلمين. ومن الاعتداء، مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها، فإن ذلك لا يجوز([[622]](#footnote-622)).
* إثبات محبة الله - أي أن الله يحب -، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، وجه الدلالة: أنه لو كان لا يحب أبداً ما صح أن ينفي محبته عن المعتدين فقط، فما انتفت محبته عن هؤلاء إلا وهي ثابتة في حق غيرهم([[623]](#footnote-623)).
* لا بد لكل أمة من أمم الأرض، تريد أن تحيا حياة العزة والكرامة، من أن تستعد الاستعداد الكامل لمجابهة عدوها بكل ما تملك من قوة، وأن تأخذ بأسباب النصر، فتهيئ شبابها للجهاد والقتال، لأنه لا عيش في هذه الدنيا إلا للأقوياء، ولا منطق إلا للقوة، وقديماً قال شاعرنا العربي:

ومن لم يذُدْ عن حوضه بسلاحه... يُهدّمْ ومن لا يظلم الناس يظلم([[624]](#footnote-624)).

* حسن تعليم الله عز وجل، حيث يقرن الحكم بالحكمة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ([[625]](#footnote-625)).
* نهى الله تبارك وتعالى عن الغلو، وتعدّي الحدود، والإسراف في أي شيء، ووجّه تعالى إلى أنّ الاقتصاد والاعتصام بالسنة عليهما مدار الدّين([[626]](#footnote-626)).
* ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ هذا أمر بقتالهم، أينما وجدوا في كل وقت، وفي كل زمان قتال مدافعة([[627]](#footnote-627)).
* وجوب قتال الكفار أينما وجِدوا، لقوله تعالى: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾، ووجوب قتالهم أينما وجدوا يستلزم وجوب قتالهم في أي زمان، لأن عموم المكان يستلزم عموم الزمان، ويستثنى من ذلك القتال في الأشهر الحرم: فإنه لا قتال فيها، لقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ ([[628]](#footnote-628)).
* ﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وأنه لا يجوز إلا أن يبدأوا بالقتال، فإنهم يقاتلون جزاء لهم على اعتدائهم، وهذا مستمر في كل وقت، حتى ينتهوا عن كفرهم فيسلموا، فإن الله يتوب عليهم، ولو حصل منهم ما حصل من الكفر بالله والشرك في المسجد الحرام، وصد الرسول والمؤمنين عنه وهذا من رحمته وكرمه بعباده([[629]](#footnote-629)).
* أن نخرج هؤلاء الكفار، كما أخرجونا، المعاملة بالمثل، لقوله تعالى: ﴿ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾، ولهذا قال العلماء: إذا مثّلوا بنا مثّلنا بهم، وإذا قطعوا نخيلنا قطعنا نخيلهم مثلاً بمثل سواءً بسواء([[630]](#footnote-630)).
* الإشارة إلى أن المسلمين أحق الناس بأرض الله، لقوله تعالى: ﴿ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ ([[631]](#footnote-631)).
* تعظيم حرمة المسجد الحرام، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾ ([[632]](#footnote-632)).
* الإسلام دين الله إلى الإنسانية، يهتم بدعوة الناس إلى الدخول في هدايته، والانضواء تحت رايته، لينعموا بحياة الأمن والاستقرار، ويعيشوا العيشة الكريمة التي أرادها الله لنبي الإنسان وإن الأمة الإسلامية. هي الأمة التي اختارها الله لإعلاء دينه، وتبليغ وحيه، وايصال هذا الهدى والنور إلى أمم الأرض([[633]](#footnote-633)).
* جواز القتال عند المسجد الحرام إذا بدأَنا بذلك أهله، لقوله تعالى: ﴿ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾ ([[634]](#footnote-634)).
* المبالغة في قتال الأعداء إذا قاتلونا في المسجد الحرام، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ ([[635]](#footnote-635)).
* وجوب مقاتلة الكفار حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، وقتال الكفار في الأصل فرض كفاية، وقد يكون مستحباً، وقد يكون فرض عين([[636]](#footnote-636)).
* إثبات العدل لله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾، والجزاء من جنس العمل.
* تمام عدل الله حيث جعل أحكامه، وعقوبته مبنية على عدوان من يستحق هذه العقوبة فقال تعالى﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ([[637]](#footnote-637)).
* فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ: أي فلا جزاء ظلم إلا على ظالم. والعدوان: التّعدّي والظّلم سمّي عدوانا على الازدواج والمقابلة([[638]](#footnote-638)).
* وجوب الكف عن الكفار إذا انتهوا عما هم عليه من الكفر، فلا يؤاخذون بما حصل منهم حال كفرهم، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ([[639]](#footnote-639)).
* أخذ الأحكام الشرعية مما تقتضيه الأسماء الحسنى، ولها نظائر، منها قوله تعالى في المحاربين: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ([[640]](#footnote-640)).
* إن الأمر بقتالهم مقيد بغايتين، غاية عدمية: ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي حتى لا توجد فتنة، و «الفتنة» هي الشرك، والصد عن سبيل الله، والغاية الثانية إيجابية: ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ بمعنى: أن يكون الدين غالباً ظاهراً لا يعلو إلا الإسلام فقط، وما دونه فهو دين معلو عليه يؤخذ على أصحابه الجزية عن يد وهم صاغرون([[641]](#footnote-641)).
* ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به، سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن ﴿يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ تعالى، فيظهر دين الله تعالى على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه، من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال ([[642]](#footnote-642)).
* إذا وقف أحد في طريق الدعوة، وأراد أن يصدها عن المضي في طريقها، فلا بدّ من دحره، وتطهير الأرض من شره، لتصل هداية الله إلى النفوس، وتعلو كلمة الحق، ويأمن الناس على حريتهم الدينية، في الإيمان بالله الواحد القهار. ولذلك شرع القتال لدفع عدوان الظالمين، ولتحطيم كل قوة تعترض طريق الدعوة، وإيصالها للناس في حرية واطمئنان. وصدق الله ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حتى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدين للَّهِ﴾ ([[643]](#footnote-643)).
* ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن قتالكم عند المسجد الحرام ﴿فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: فليس عليهم منكم اعتداء، إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة، بقدر ظلمه([[644]](#footnote-644)).
* أنهم إذا انتهوا ــــ إما عن الشرك: بالإسلام،وإما عن الفتنة: بالاستسلام ــــ فإنه لا يعتدى عليهم، لقوله تعالى﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ([[645]](#footnote-645)).
* ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ من باب عطف العام على الخاص، أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام، أو ما هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه، فمن قاتل في الشهر الحرام، قوتل، ومن هتك البلد الحرام، أخذ منه الحد، ولم يكن له حرمة، ومن قتل مكافئا له قتل به، ومن جرحه أو قطع عضوا، منه، اقتص منه، ومن أخذ مال غيره المحترم، أخذ منه بدله([[646]](#footnote-646)).
* أن الحرمات قصاص، يعني أن من انتهك حرمتك لك أن تنتهك حرمته مثلاً بمثل، ولهذا فرع عليها قولهتعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ ([[647]](#footnote-647)).
* لما كانت النفوس - في الغالب - لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها([[648]](#footnote-648)).
* أن المعتدي لا يجازى بأكثر من عدوانه، لقوله تعالى: ﴿ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ ([[649]](#footnote-649)).
* ولا يُقاتل إلا الباغي المعتدي، الذي يريد أن يفرض إرادته على الأمة بالقهر والسلطان، وأن يصد عن دين الله بقوة الحديد والنار، ويفتن المؤمن بوسائل الفتنة والإغراء. ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله الذين يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تعتدوا إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ المعتدين﴾([[650]](#footnote-650)).
* وجوب تقوى الله عز وجل في معاملة الآخرين، بل في كل حال، لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾([[651]](#footnote-651)).
* ﴿مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: بالعون، والنصر، والتأييد، والتوفيق([[652]](#footnote-652)).
* إثبات أن الله مع المتقين، لقوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾.

.....................

# القسم الثامن والخمسون: الآية 195-196

**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196)**

* التَّهْلُكَةِ: مصير الشيء بحيث لا يدرى أين هو المصير.
* أُحْصِرْتُمْ: منعتم من السّير بمرض أو عدوّ أو سائر العوائق.
* اسْتَيْسَرَ: تيسّر وسهل.
* مِنَ الْهَدْيِ هو ما أهدي إلى البيت الحرام.
* مَحِلَّهُ: منحره. يعني الموضع الذي يحلّ فيه نحره.
* الأذى: ما يكره ويغتمّ به.
* نُسُكٍ: ذبائح، واحدها نسيكة.
* الأمر بالإنفاق في سبيل الله، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾.
* ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله، وهي كل طرق الخير، من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته([[653]](#footnote-653)).
* الإشارة إلى الإخلاص في العمل، لقوله تعالى: ﴿ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾، ويدخل في هذا: القصد، والتنفيذ ــــ أن يكون القصد لله ــــ، وأن يكون التنفيذ على حسب شريعة الله، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ([[654]](#footnote-654)).
* أعظم الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن، وفيها من المصالح العظيمة، الإعانة على تقوية المسلمين، وعلى توهية الشرك وأهله، وعلى إقامة دين الله وإعزازه، والجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله، إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم، فيكون قوله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ كالتعليل لذلك([[655]](#footnote-655)).
* التهلكة في الآية: هي عدم الانفاق في سبيل الله.
* تحريم الإلقاء باليد إلى التهلكة، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾، ويتناول كل ما فيه هلاك الإنسان، وخطر في دينه، أو دنياه([[656]](#footnote-656)).
* والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين: ترك ما أمر به العبد، إذا كان تركه موجبا أو مقاربا لهلاك البدن أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك، ترك الجهاد في سبيل الله، أو النفقة فيه، الموجب لتسلط الأعداء، ومن ذلك تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجرا أو بنيانا خطرا، أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك، فهذا ونحوه، ممن ألقى بيده إلى التهلكة([[657]](#footnote-657)).
* أن ما كان سبباً للضرر فإنه منهي عنه، ومن أجل هذه القاعدة عرفنا أن الدخان حرام، لأنه يضر باتفاق الأطباء، كما أن فيه ضياعاً للمال أيضاً، وقد نهى عن إضاعة المال([[658]](#footnote-658)).
* ومن الإلقاء باليد إلى التهلكة الإقامة على معاصي الله، واليأس من التوبة، ومنها ترك ما أمر الله به من الفرائض، التي في تركها هلاك للروح والدين([[659]](#footnote-659)).
* الأمر بالإحسان، لقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا ﴾.
* الإحسان الذي به تمام الواجب فالأمر فيه للوجوب، وأمّا الإحسان الذي به كمال العمل فالأمر فيه للاستحباب([[660]](#footnote-660)).
* ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم.  
  ويدخل فيه الإحسان بالجاه، بالشفاعات ونحو ذلك، ويدخل في ذلك، الإحسان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس، من تفريج كرباتهم وإزالة شداتهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملا والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك، مما هو من الإحسان الذي أمر الله به، ويدخل في الإحسان أيضا، الإحسان في عبادة الله تعالى([[661]](#footnote-661)).
* فضيلة الإحسان، والحث عليه، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.
* إثبات المحبة لله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.
* إن العمرة، والحج سواء في وجوب إتمامهما، لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾([[662]](#footnote-662)).
* يستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ على أمور:

أحدها: وجوب الحج والعمرة، وفرضيتهما.

الثاني: وجوب إتمامهما بأركانهما، وواجباتهما، التي قد دل عليها فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: "خذوا عني مناسككم "

الثالث: أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة.

الرابع: أن الحج والعمرة يجب إتمامهما بالشروع فيهما، ولو كانا نفلا.

الخامس: الأمر بإتقانهما وإحسانهما، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما.

السادس: وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى.

السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملهما، إلا بما استثناه الله، وهو الحصر، فلهذا قال: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أي: منعتم من الوصول إلى البيت لتكميلهما، بمرض، أو ضلالة، أو عدو، ونحو ذلك من أنواع الحصر، الذي هو المنع([[663]](#footnote-663)).

* وجوب الإخلاص لله، لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ يعني أتموها لله لا لغيره، لا تراعوا في ذلك جاهاً، ولا رتبة، ولا ثناءً من الناس.
* إذا أحصر الإنسان عن إتمام الحج والعمرة فله أن يتحلل، ولكن عليه الهدي، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ ([[664]](#footnote-664)).
* ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي: فاذبحوا ما استيسر من الهدي، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر، ويحلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر([[665]](#footnote-665)).
* أطلق الله تعالى الإحصار، ولم يقيده، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾، فظاهر الآية شمول الإحصار لكل مانع من إتمام النسك.
* وجوب الهـــــــــــــدي على من أحصر، لقولـــــــــــــــــــــــــه تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ ([[666]](#footnote-666)).
* أن من تعذر، أو تعسر عليه الهدي فلا شيء عليه، لقوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾، ولم يذكر الله بديلاً عند العجز.
* لا يجب على المحصر الحلق عند التحلل، لأن الله سبحانه وتعالى لم يذكره.
* لا بد أن يكون هذا الهدي مما يصح أن يهدَى: بأن يكون بالغاً للسن المعتبر سالماً من العيوب المانعة من الأجزاء، لقوله تعالى: ﴿ مِنَ الْهَدْيِ ﴾.
* ﴿وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ وهذا من محظورات الإحرام، إزالة الشعر، بحلق أو غيره، لأن المعنى واحد من الرأس، أو من البدن، لأن المقصود من ذلك، حصول الشعث والمنع من الترفه بإزالته، وهو موجود في بقية الشعر([[667]](#footnote-667)).
* تحريم حلق الرأس على المحرم، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ ﴾، والنهي عام لكل الرأس، ولبعضه، إذاً لو حلق بعضه وقع في الإثم.
* لا يحرم حلق شعر غير الرأس، لأن الله خص النهي بحلق الرأس فقط، وأما الشارب، والإبط، والعانة، والساق، والذراع، فلا يدخل في الآية الكريمة، لأنه ليس من الرأس، والأصل الحل، وهذا ما ذهب إليه أهل الظاهر.
* لا يجوز الحلق إلا بعد النحر، لقوله تعالى:﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾.
* جواز حلق الرأس للمرض، والأذى، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ...﴾([[668]](#footnote-668)).
* وجوب الفدية على المحرم إذا حلق رأسه ([[669]](#footnote-669)).
* التيسير على العباد، وذلك بوقوع الفدية على التخيير.
* أن كفارات المعاصي فدًى للإنسان من العقوبة، لقوله تعالى:﴿ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ...﴾([[670]](#footnote-670)).
* جواز التمتع بالعمرة إلى الحج ([[671]](#footnote-671)).
* ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي: بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغيره، ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ بأن توصل بها إليه، وانتفع بتمتعه بعد الفراغ منها([[672]](#footnote-672)).
* تيسير الله على العباد، لقوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾، والدين كله من أوله إلى آخره مبني على اليسر([[673]](#footnote-673)).
* ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي: فعليه ما تيسر من الهدي، وهو ما يجزئ في أضحية، وهذا دم نسك، مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة، ولإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة، وقبل الشروع في الحج، ومثلها القِران لحصول النسكين له. ويدل مفهوم الآية، على أن المفرد للحج، ليس عليه هدي، ودلت الآية، على جواز، بل فضيلة المتعة، وعلى جواز فعلها في أشهر الحج([[674]](#footnote-674)).
* ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ من لم يجد الهدي، أو ثمنه، فإنه يصوم ثلاثة أيام في الحج ([[675]](#footnote-675)).
* ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أي الهدي أو ثمنه ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر، أيام رمي الجمار، والمبيت بـ "منى" ولكن الأفضل منها، أن يصوم السابع، والثامن، والتاسع([[676]](#footnote-676)).
* صيام السبعة لا يجوز في أيام الحج، لقوله تعالى: ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾([[677]](#footnote-677)).
* ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: فرغتم من أعمال الحج، فيجوز فعلها في مكة، وفي الطريق، وعند وصوله إلى أهله([[678]](#footnote-678)).
* يجوز التتابع، والتفريق بين الأيام الثلاثة، والأيام السبعة، لأن الله سبحانه وتعالى أطلق، ولم يشترط التتابع، ولو كان التتابع واجباً لذكره الله، كما ذكر وجوب التتابع في صيام كفارة القتل، وصيام كفارة الظهار([[679]](#footnote-679)).
* تيسير الله ــــ تبارك وتعالى ــــ على عباده، حيث جعل الأكثر من الصيام بعد رجوعه، لقوله تعالى: ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾.
* ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من وجوب الهدي على المتمتع ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بأن كان عند مسافة قصر فأكثر، أو بعيدا عنه عرفات، فهذا الذي يجب عليه الهدي، لحصول النسكين له في سفر واحد، وأما من كان أهله من حاضري المسجد الحرام، فليس عليه هدي لعدم الموجب لذلك([[680]](#footnote-680)).
* لا يجب الهدي، أو بدله من الصيام على من كان حاضر المسجد الحرام، لقوله تعالى:﴿ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾.
* فضيلة المسجد الحرام، لوصف الله سبحانه وتعالى له بأنه حرام ــــ أي ذو حرمة ــــ، ومن حرمته تحريم القتال فيه، وتحريم صيده، وشجره، وحشيشه، وأن من أراد الإلحاد فيه بظلم أذاقه الله من عذاب أليم ([[681]](#footnote-681)).
* ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أموركم، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ومن ذلك، امتثالكم، لهذه المأمورات، واجتناب هذه المحظورات المذكورة في هذه الآية([[682]](#footnote-682)).

............................

# القسم التاسع والخمسون: الآية 197-199

**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (199)**

* فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ: أي ألزمه نفسه بالشروع فيه بالإحرام به.
* والفرض: الإيجاب والإلزام، وأصله الحدّ.
* رَفَثَ: الرفث القول الفاحش البذيء وقربان النساء.
* فُسُوقَ: الفسوق: الخروج عما حدده الشرع.
* جِدَالَ: الجدال: المراء والخصام.
* الزَّادِ: الأعمال الصالحة وما يدخر من الخير.
* جُنَاحٌ: حرج وإثم.
* أَفَضْتُمْ: دفعتم بكثرة.
* فَاذْكُرُوا: الذكر: الدعاء والتلبية والتكبير والتحميد.
* الْمَشْعَرِ الْحَرامِ: هو مزدلفة،والمشعر: المعلم لمتعبّد من متعبّداته([[683]](#footnote-683)). وجمعه مشاعر.
* ذكر الحج في الآية ثلاث مرات.المراد بالأول: زمان الحج. وبالثاني: الحج نفسه المسمى بالنسك. وبالثالث: ما يعم الزمان والمكان وهو الحرم.
* الحج موسم عبادة، وموسم تجارة، وفيه منافع اقتصادية([[684]](#footnote-684)).
* يخبر تعالى أن ﴿الْحَجَّ﴾ واقع في ﴿ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ عند المخاطبين، مشهورات، بحيث لا تحتاج إلى تخصيص، كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره، وكما بين تعالى أوقات الصلوات الخمس([[685]](#footnote-685)).
* الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ: شوّال وذو القعدة وعشر ذي الحجّة، أي خذوا في أسباب الحجّ، وتأهّبوا له في هذه الأوقات من التّلبية وغيرها ([[686]](#footnote-686)).
* ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ أي: أحرم به، لأن الشروع فيه يصيره فرضا، ولو كان نفلا.  
  واستدل بهذه الآية الشافعي ومن تابعه، على أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره([[687]](#footnote-687)).
* من تلبس بالحج، أو العمرة وجب عليه إتمامه، وصار فرضاً عليه، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ ([[688]](#footnote-688)).
* تحرم المحظورات بمجرد عقدالإحرام - وإن لم يخلع ثيابه من قميص، وسراويل، وغيرها، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ ﴾، لأنه جواب الشرط، وجواب الشرط يكون تالياً لفعله، فبمجرد أن يفرض فريضة الحج تحرم عليه المحظورات([[689]](#footnote-689)).
* ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصا الواقع في أشهره، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه، من الرفث وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية، خصوصا عند النساء بحضرتهن. والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام. والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة([[690]](#footnote-690)).
* الإحرام ينعقد بمجرد النية - أي نية الدخول إلى النسك، وتثبت بها الأحكام - وإن لم يلبّ، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ ﴾([[691]](#footnote-691)).
* تحريم الفسوق، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾.
* تحريم الجدال، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ([[692]](#footnote-692)).
* البعد حال الإحرام عن كل ما يشوش الفكر، ويشغل النفس، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾.
* ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ فكل خير وقربة وعبادة، داخل في ذلك، أي: فإن الله به عليم، وهذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير، وخصوصا في تلك البقاع الشريفة والحرمات المنيفة، فإنه ينبغي تدارك ما أمكن تداركه فيها، من صلاة، وصيام، وصدقة، وطواف، وإحسان قولي وفعلي([[693]](#footnote-693)).
* الحث على فعل الخير، لأن قوله تعالى:﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ ﴾ يدل على أنه سيجازي على ذلك، ولا يضيعه، قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ([[694]](#footnote-694)).
* الخير سواء قلّ، أو كثر، فإنه معلوم عند الله، لقوله تعالى: ﴿ مِنْ خَيْرٍ﴾، وهي نكرة في سياق الشرط، والنكرة في سياق الشرط تفيد العموم([[695]](#footnote-695)).
* عموم علم الله تعالى بكل شيء، لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾
* ثم أمر تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك، فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم، سؤالا واستشرافا، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين، وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة البنية بلغة ومتاع([[696]](#footnote-696)).
* أنه ينبغي للحاج أن يأخذ معه الزاد الحسيّ من طعام، وشراب، ونفقة، لئلا يحتاج في حجه، فيتكفف الناس، لقوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾([[697]](#footnote-697)).
* الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه، في دنياه، وأخراه، فهو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجل نعيم دائم أبدا، ومن ترك هذا الزاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين. فهذا مدح للتقوى([[698]](#footnote-698)).
* أن التقوى خير زاد، كما أن لباسها خير لباس، فهي خير لباس، لقوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾([[699]](#footnote-699))، وهي خير زاد، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾.
* وجوب تقوى الله، لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُونِ ﴾.
* أصحاب العقول هم أهل التقوى، لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾([[700]](#footnote-700))
* ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الألْبَابِ﴾ أي: يا أهل العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل، وفساد الرأي([[701]](#footnote-701)).
* كلما نقص الإنسان من تقوى الله كان ذلك دليلاً على نقص عقله - عقل الرشد، بخلاف قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت من ناقصات عقل، ودين» ([[702]](#footnote-702)).
* جواز الاتجار أثناء الحج بالبيع، والشراء، والتأجير ــــ كالذي يؤجر سيارته التي يحج عليها في الحج، لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾([[703]](#footnote-703)).
* ينبغي للإنسان في حال بيعه، وشرائه أنيكون مترقباً لفضل الله لا معتمداً على قوته، وكسبه، لقوله تعالى: ﴿ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾.
* لما أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب إذا كان المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالا منسوبا إلى فضل الله، لا منسوبا إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب، ونسيان المسبب، فإن هذا هو الحرج بعينه([[704]](#footnote-704)).
* ظهور منة الله على عباده بما أباح لهم من المكاسب، وأن ذلك من مقتضى ربوبيته سبحانه وتعالى، حيث قال تعالى: ﴿ فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾([[705]](#footnote-705)).
* مشروعية الوقوف بعرفة، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ ([[706]](#footnote-706)).
* وفي قوله: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ دلالة على أمور:

أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفا أنه ركن من أركان الحج، فالإفاضة من عرفات، لا تكون إلا بعد الوقوف.

الثاني: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام، وهو المزدلفة، وذلك أيضا معروف، يكون ليلة النحر بائتا بها، وبعد صلاة الفجر، يقف في المزدلفة داعيا، حتى يسفر جدا، ويدخل في ذكر الله عنده، إيقاع الفرائض والنوافل فيه.  
الثالث: أن الوقوف بمزدلفة، متأخر عن الوقوف بعرفة، كما تدل عليه الفاء والترتيب.  
الرابع، والخامس: أن عرفات ومزدلفة، كلاهما من مشاعر الحج المقصود فعلها، وإظهارها.

السادس: أن مزدلفة في الحرم، كما قيده بالحرام.

السابع: أن عرفة في الحل، كما هو مفهوم التقييد بـ "مزدلفة "([[707]](#footnote-707)).

* أنه يشترط للوقوف بمزدلفة أن يكون بعد الوقوف بعرفة، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾.
* الصلاة من ذكر الله، لقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ ([[708]](#footnote-708)).
* بيان أن مزدلفة من الحرم، لقوله تعالى: ﴿ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾.
* عرفة مشعر حلال، لأنها من الحل، ولهذا يجوز للمحرم أن يقطع الأشجار بعرفة([[709]](#footnote-709)).
* ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي: اذكروا الله تعالى كما منّ عليكم بالهداية بعد الضلال، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون، فهذه من أكبر النعم، التي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعم بالقلب واللسان([[710]](#footnote-710)).
* إذا جعلنا الكاف للتعليل في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ فالمعنى: اذكروا الله تعالى لما أنعم عليه به من الهداية.
* إذا جعلنا الكاف للتشبيه في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ فالمعنى: اذكروه على الوجه الذي هداكم له، فيستفاد منها أن الإنسان يجب أن يكون ذكره لله على حسب ما ورد عن الله عزّ وجلّ([[711]](#footnote-711)).
* الذكر المشروع ما وافق الشرع، لقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ ([[712]](#footnote-712)).
* تذكير الإنسان بحاله قبل كماله، ليعرف بذلك قدر نعمة الله عليه، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: «ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي» ([[713]](#footnote-713)).
* متى أفاض الإنسان من حيث أفاض الناس لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ فإنه يلزم من ذلك أن يكون قد بات بمزدلفة([[714]](#footnote-714)).
* ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي: ثم أفيضوا من مزدلفة من حيث أفاض الناس، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفا عندهم، وهو رمي الجمار، وذبح الهدايا، والطواف، والسعي، والمبيت بـ "منى "ليالي التشريق وتكميل باقي المناسك([[715]](#footnote-715)).
* كان هذا النسك أمراً معلوماً يسير الناس عليه من قديم الزمان، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾([[716]](#footnote-716)).
* ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره، فالاستغفار للخلل الواقع من العبد، في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة([[717]](#footnote-717)).
* قرن الحكم بالعلة، لقوله تعالى:﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، وقرن الحكم بالعلة في مثل هذا يفيد الإقدام، والنشاط على استغفار الله عزّ وجلّ([[718]](#footnote-718)).

# تم الجزء الثاني ويليه الثالث بإذن الله تعالى

**المحتويات**

[**قطوف مختارة من تفسير سورة البقرة** 1](#_Toc477982235)

[القسم السابع والثلاثون: الآية 126-129 2](#_Toc477982237)

[القسم الثامن والثلاثون: الآية 130-132 8](#_Toc477982238)

[القسم التاسع والثلاثون: الآية 133-134 11](#_Toc477982239)

[القسم الاربعون: الآية 135-138 14](#_Toc477982240)

[القسم الحادي والأربعون: الآية 139-141 18](#_Toc477982241)

[القسم الثاني والأربعون: الآية 142-143 22](#_Toc477982242)

[القسم الثالث والأربعون: الآية 144-145 28](#_Toc477982243)

[القسم الرابع والأربعون: الآية 146-150 35](#_Toc477982244)

[القسم الخامس والأربعون: الآية 151-157 41](#_Toc477982245)

[القسم السادس والأربعون: الآية 158-160 51](#_Toc477982246)

[القسم السابع والأربعون: الآية 161-164 55](#_Toc477982247)

[القسم الثامن والأربعون: الآية 165-167 60](#_Toc477982248)

[القسم التاسع والأربعون: الآية 168-171 65](#_Toc477982249)

[القسم الخمسون: الآية 172-176 70](#_Toc477982250)

[القسم الحادي والخمسون: الآية 177 78](#_Toc477982251)

[القسم الثاني والخمسون: الآية 178-179 84](#_Toc477982252)

[القسم الثالث والخمسون: الآية 180-182 91](#_Toc477982253)

[القسم الخامس والخمسون: الآية 186-187 102](#_Toc477982254)

[القسم السادس والخمسون: الآية 188-189 110](#_Toc477982255)

[القسم السابع الخمسون: الآية 190-194 113](#_Toc477982256)

[القسم الثامن والخمسون: الآية 195-196 120](#_Toc477982257)

[القسم التاسع والخمسون: الآية 197-199 127](#_Toc477982258)

[تم الجزء الثاني ويليه الثالث بإذن الله تعالى 133](#_Toc477982259)

1. () ايسر التفاسير 1/115. [↑](#footnote-ref-1)
2. () تفسير القرطبي 2/117. [↑](#footnote-ref-2)
3. () تفسير ابن عثيمين 2/54. [↑](#footnote-ref-3)
4. () ايسر التفاسير 1/113. [↑](#footnote-ref-4)
5. () تفسير ابن عثيمين 2/54. [↑](#footnote-ref-5)
6. () بينما قال في سورة إبراهيم صلوات الله عليه: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً [إبراهيم: 35]   
   فقد كان بلدا غير آمن فعرّفه وطلب له الأمن، أو كان بلدا آمنا فطلب له ثبات الأمن ودوامه.الموسوعة القرآنية وخصائص السور1/265. [↑](#footnote-ref-6)
7. () أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (1360). [↑](#footnote-ref-7)
8. () تفسير ابن عثيمين 2/55. [↑](#footnote-ref-8)
9. () ايسر التفاسير 1/113. [↑](#footnote-ref-9)
10. () سورة هود: الآية 6. [↑](#footnote-ref-10)
11. () تفسير القرطبي 2/119. [↑](#footnote-ref-11)
12. () تفسير ابن عثيمين 2/56. [↑](#footnote-ref-12)
13. () ايسر التفاسير 1/115. [↑](#footnote-ref-13)
14. () تفسير ابن عثيمين 2/56. [↑](#footnote-ref-14)
15. () ايسر التفاسير 1/116. [↑](#footnote-ref-15)
16. ()أخرجه أحمد في مسنده 14/445، حديث رقم 8856. وعلق عليه الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد، عمرو بن أبي عمرو -وهو المدني مولى المطلب- وإن روى له الشيخان، فيه كلام يحطه عن رتبة الصحيح، وباقي رجال الِإسناد ثقات رجال الشيخين غير سليمان -وهو ابن داود الهاشمي- فقد روى له أصحاب السنن، وهو ثقة. إسماعيل: هو ابن جعفر، وأبو سعيد المقبري: اسمه كيسان. [↑](#footnote-ref-16)
17. () وينقسم السمع إلى قسمين: سمع بمعنى سماع الأصوات، وسمع بمعنى الإجابة، فمثال الأول قوله تبارك وتعالى: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى﴾ [الزخرف: 80]، وقوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ [المجادلة: 1]، ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾ [إبراهيم: 39] أي مستجيب الدعاء، وكذلك قول المصلي: «سمع الله لمن حمده» ــــ يعني استجاب لمن حمده ــــ، والسمع الذي هو بمعنى سماع الأصوات من صفاته الذاتية، والسمع بمعنى الاستجابة من صفاته الفعلية، لأن الاستجابة تتعلق بمشيئته: إن شاء استجاب لمن حمده، وإن شاء لم يستجب، وأما سماع الأصوات فإنه ملازم لذاته ــــ لم يزل، ولا يزال سميعاً ــــ، إذ إن خلاف السمع الصمم، والصمم نقص، والله سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص، وكلا المعنيين يناسب الدعاء: فهو سبحانه وتعالى يسمع صوت الداعي، ويستجيب دعاءه.  
    والسمع ــــ أعني سماع الأصوات ــــ تارة يفيد تهديداً، وتارة يفيد إقراراً، وإحاطة، وتارة يفيد تأييداً. يفيد تهديداً، كما في قوله تعالى: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا... ﴾ [آل عمران: 181] الآية، وقوله تعالى: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى﴾ [الزخرف: 80] ويفيد إقراراً، وإحاطة، كما في قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ [المجادلة: 1]، ويفيد تأييداً، كما في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: 46]. تفسير ابن عثيمين 2/60 [↑](#footnote-ref-17)
18. ()مثال علمه بالجملة: قوله تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ [الطلاق: 12]،وقوله تعالى: ﴿الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً﴾ [طه: 98]، ومثال علمه بالتفصيل: قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: 59]، ومثال علمه بالموجود: ما أخبر الله به عن علمه بما كان، مثل قول الله تعالى: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ [البقرة: 187]، ومثال علمه بالمعدوم الذي قد وجِد: ما علمه الله من أحوال الماضين، ومثال علمه بالمعدوم الذي لم يوجد بعد: ما علمه الله عزّ وجلّ من أحوال القيامة، ومآل الخلق، ومثال علمه بالممكن: ما علمه الله عزّ وجلّ من الحوادث الواقعة من الإنسان، ومثال علمه بالواجب: ما علمه الله عزّ وجلّ من كمال صفاته، ومثال علمه بالمستحيل: قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ [المؤمنون: 91]، وقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: 22]. تفسير ابن عثيمين 2/60. [↑](#footnote-ref-18)
19. () تفسير ابن عثيمين 2/63. [↑](#footnote-ref-19)
20. () سورة الاسراء: الآيتان 74ــ 75. [↑](#footnote-ref-20)
21. () تفسير ابن عثيمين 2/64. [↑](#footnote-ref-21)
22. () سورة ابراهيم: الآية 35. [↑](#footnote-ref-22)
23. () تفسير ابن عثيمين 2/64. [↑](#footnote-ref-23)
24. () تفسير القرطبي 2/128. [↑](#footnote-ref-24)
25. () تفسير ابن عثيمين 2/64. [↑](#footnote-ref-25)
26. () تفسير القرطبي 2/130. [↑](#footnote-ref-26)
27. () سورة الاعراف: الآية 180. [↑](#footnote-ref-27)
28. () سورة النجم: الآية 2. [↑](#footnote-ref-28)
29. () تفسير القرطبي 2/131. [↑](#footnote-ref-29)
30. () سورة البقرة: الآية 13. [↑](#footnote-ref-30)
31. () تفسير القرطبي 2/132. [↑](#footnote-ref-31)
32. () تفسير ابن عثيمين 2/71. [↑](#footnote-ref-32)
33. () تفسير القرطبي 2/132. [↑](#footnote-ref-33)
34. () تفسير ابن عثيمين 2/71. [↑](#footnote-ref-34)
35. () تفسير القرطبي 2/133. [↑](#footnote-ref-35)
36. () تفسير ابن عثيمين 2/71. [↑](#footnote-ref-36)
37. ()أخرجه البخاري: 5/52، كتاب مناقب الأنصار، باب 42: المعراج، الحديث رقم 3887. [↑](#footnote-ref-37)
38. () تفسير القرطبي 2/133. [↑](#footnote-ref-38)
39. () تفسير ابن عثيمين 2/73. [↑](#footnote-ref-39)
40. () سورة النحل: الآيتان 20ــ21. [↑](#footnote-ref-40)
41. () ومن الآيات التي نزلت في هذا المجال: قال عزّ من قائل: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى [طه: 132] وقال سبحانه: وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ\* وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ\* وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ\* يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ\* يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ\* وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ\* وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [لقمان: 13 - 19]، وقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ [التحريم: 6]. [↑](#footnote-ref-41)
42. () تفسير القرطبي 2/137. [↑](#footnote-ref-42)
43. () صفوة التفاسير 1/86. [↑](#footnote-ref-43)
44. () سورة آل عمران: الآية 144. [↑](#footnote-ref-44)
45. () تفسير ابن عثيمين 2/79. [↑](#footnote-ref-45)
46. () صفوة التفاسير 1/86. [↑](#footnote-ref-46)
47. () تفسير ابن عثيمين 2/80. [↑](#footnote-ref-47)
48. () تفسير القرطبي 2/139. [↑](#footnote-ref-48)
49. () تفسير ابن عثيمين 2/81. [↑](#footnote-ref-49)
50. () سورة الحشر: الآية 10. [↑](#footnote-ref-50)
51. () سورة المدثر: الآية 38. [↑](#footnote-ref-51)
52. () تفسير القرطبي 2/139. [↑](#footnote-ref-52)
53. () تفسير ابن عثيمين 2/82. [↑](#footnote-ref-53)
54. () ايسر التفاسير 1/121. [↑](#footnote-ref-54)
55. () تفسير ابن عثيمين 2/85. [↑](#footnote-ref-55)
56. () تفسير ابن عثيمين 2/89. [↑](#footnote-ref-56)
57. () سورة الحديد: الآية25. [↑](#footnote-ref-57)
58. () تفسير ابن عثيمين 2/89. [↑](#footnote-ref-58)
59. () سورة المائدة: الآية48. [↑](#footnote-ref-59)
60. () تفسير القرطبي 2/141. [↑](#footnote-ref-60)
61. ()التبيان في تفسير غريب القرآن، ص96. [↑](#footnote-ref-61)
62. () تفسير ابن عثيمين 2/91. [↑](#footnote-ref-62)
63. () تفسير القرطبي 2/143. [↑](#footnote-ref-63)
64. () الموسوعة القرآنية وخصائص السور1/266. [↑](#footnote-ref-64)
65. () تفسير القرطبي 2/143. [↑](#footnote-ref-65)
66. () تفسير القرطبي 2/144. [↑](#footnote-ref-66)
67. () تفسير ابن عثيمين 2/98. [↑](#footnote-ref-67)
68. () سورة البقرة: الآية23. [↑](#footnote-ref-68)
69. () سورة الاسراء: الآية1. [↑](#footnote-ref-69)
70. () سورة الكهف: الآية1. [↑](#footnote-ref-70)
71. ()سورة البقرة: الآية137. [↑](#footnote-ref-71)
72. () سورة الأنفال: الآية 61. [↑](#footnote-ref-72)
73. ()اسرار البيان في التعبير القرآني ص32. [↑](#footnote-ref-73)
74. () تفسير ابن عثيمين 2/99. [↑](#footnote-ref-74)
75. () تفسير القرطبي 2/145. [↑](#footnote-ref-75)
76. () تفسير ابن عثيمين 2/99. [↑](#footnote-ref-76)
77. () تفسير القرطبي 2/145. [↑](#footnote-ref-77)
78. () تفسير ابن عثيمين 2/99. [↑](#footnote-ref-78)
79. () أخرجه أبي داؤد في سننه 6/144، حديث(4031). وقال الألباني الحديث "صحيح" (الإرواء: 5/118 ) [↑](#footnote-ref-79)
80. () تفسير القرطبي 2/146. [↑](#footnote-ref-80)
81. () تفسير ابن عثيمين 2/102. [↑](#footnote-ref-81)
82. () تفسير القرطبي 2/146. [↑](#footnote-ref-82)
83. () تفسير ابن عثيمين 2/102. [↑](#footnote-ref-83)
84. () تفسير القرطبي 2/147. [↑](#footnote-ref-84)
85. () كالمعتزلة، والأشاعرة، ونحوهم، نقول لهم كلهم في الجواب: ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾: أأنتم أعلم بما يجوز على الله، ويمتنع عليه، ويجب له، أم الله أعلم بما يمتنع عليه، ويجب له، ويجوز له؟!!! وهذه في الحقيقة حجة ملزمة مفحمة مقحمة لهؤلاء الذين يتحكمون في صفات الله تعالى بعقولهم، فيقولون: «يجب لله كذا، يمتنع عليه كذا»، نقول: ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾. تفسير ابن عثيمين 2/103. [↑](#footnote-ref-85)
86. () تفسير القرطبي 2/147. [↑](#footnote-ref-86)
87. ()تفسير السعدي 1/69. [↑](#footnote-ref-87)
88. ()تفسير ابن كثير 1/451. [↑](#footnote-ref-88)
89. () إن العالم بشريعة الله عنده شهادة من الله بهذه الشريعة، كما قال الله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ [آل عمران: 18]، فكل إنسان يكتم علماً فقد كتم شهادة عنده من الله، ثم إن في هذا عظم إثمه، لقوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾. تفسير ابن عثيمين 2/103. [↑](#footnote-ref-89)
90. () تفسير القرطبي 2/147. [↑](#footnote-ref-90)
91. () تفسير ابن عثيمين 2/103. [↑](#footnote-ref-91)
92. () تفسير القرطبي 2/147. [↑](#footnote-ref-92)
93. () تفسير ابن عثيمين 2/103. [↑](#footnote-ref-93)
94. () تفسير القرطبي 2/147. [↑](#footnote-ref-94)
95. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-95)
96. () تفسير ابن عثيمين 2/104. [↑](#footnote-ref-96)
97. () تفسير ابن عثيمين 2/106. [↑](#footnote-ref-97)
98. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-98)
99. () تفسير آيات الأحكام 1/129. [↑](#footnote-ref-99)
100. () تفسير ابن عثيمين 2/106. [↑](#footnote-ref-100)
101. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-101)
102. () تفسير ابن عثيمين 2/107. [↑](#footnote-ref-102)
103. ()التبيان في تفسير غريب القرآن، ص97. [↑](#footnote-ref-103)
104. () تفسير ابن عثيمين 2/108. [↑](#footnote-ref-104)
105. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-105)
106. () تفسير آيات الأحكام 1/129. [↑](#footnote-ref-106)
107. () إذا قال أحد: لماذا كذا؟ قلت: الله ربك يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، «لماذا أحل كذا، وحرم كذا؟» تقول: لأنه ربك، «لماذا توجه الناس من المشرق إلى المغرب، من المغرب إلى المشرق، من بيت المقدس إلى الكعبة؟» قلت: لأن ذلك بمقتضى ربوبية الله: ﴿لله المشرق والمغرب﴾.تفسير ابن عثيمين 2/107. [↑](#footnote-ref-107)
108. () تفسير ابن عثيمين 2/108. [↑](#footnote-ref-108)
109. () سورة المائدة: الآية 16. [↑](#footnote-ref-109)
110. () تفسير ابن عثيمين 2/108. [↑](#footnote-ref-110)
111. () ايسر التفاسير 1/126. [↑](#footnote-ref-111)
112. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-112)
113. ()والشهادة تكون في الدنيا، والآخرة، فإذا حشر الناس، وسئل الرسل: هل بلغتم؟ فيقولون: نعم، ثم تسأل الأمم: هل بُلِّغتم؟ فيقولون: ما جاءنا من بشير، ولا نذير، ما جاءنا من أحد، فيقال للرسول: من يشهد لك؟ فيقول: «محمد، وأمته»، يُستشهدون يوم القيامة، ويَشهدون، فيكونون شهداء على الناس. فإذا قال قائل: كيف تشهد وهي لم تر؟ نقول: لكنها سمعت عمن خبره أصدق من المعاينة ــــ صلوات الله وسلامه عليه.تفسير ابن عثيمين 2/116. [↑](#footnote-ref-113)
114. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-114)
115. () تفسير آيات الأحكام 1/129. [↑](#footnote-ref-115)
116. ()وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم عرفة في أعظم مجمع حصل له مع الصحابة: «ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد». أخرجه البخاري ص590، كتاب الفتن، باب 8: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفاراً"...، حديث رقم 7078، وأخرجه مسلم ص880 - 881، كتاب الحج، باب 19: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 2950 [147] 1218. [↑](#footnote-ref-116)
117. () تفسير ابن عثيمين 2/117. [↑](#footnote-ref-117)
118. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-118)
119. () سورة الانفال: الآية 37. [↑](#footnote-ref-119)
120. () الموسوعة القرآنية وخصائص السور1/266. [↑](#footnote-ref-120)
121. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-121)
122. () تفسير آيات الأحكام 1/129. [↑](#footnote-ref-122)
123. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-123)
124. () سورة الطلاق: الآية 12. [↑](#footnote-ref-124)
125. () تفسير ابن عثيمين 2/119. [↑](#footnote-ref-125)
126. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-126)
127. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-127)
128. () سورة الحج: الآية 78. [↑](#footnote-ref-128)
129. () تفسير آيات الأحكام 1/130. [↑](#footnote-ref-129)
130. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-130)
131. () صفوة التفاسير 1/91. [↑](#footnote-ref-131)
132. ()تفسير السعدي 1/70. [↑](#footnote-ref-132)
133. () تفسير ابن عثيمين 2/121. [↑](#footnote-ref-133)
134. () سورة الحج: الآية 28. [↑](#footnote-ref-134)
135. () تفسير ابن عثيمين 2/125. [↑](#footnote-ref-135)
136. ()تفسير السعدي 1/71. [↑](#footnote-ref-136)
137. () تفسير ابن عثيمين 2/125. [↑](#footnote-ref-137)
138. ()تفسير السعدي 1/71. [↑](#footnote-ref-138)
139. () تفسير آيات الأحكام 1/129. [↑](#footnote-ref-139)
140. () تفسير ابن عثيمين 2/126. [↑](#footnote-ref-140)
141. () تفسير آيات الأحكام 1/129. [↑](#footnote-ref-141)
142. () الموسوعة القرآنية وخصائص السور1/266. [↑](#footnote-ref-142)
143. () سورة الرحمن: الآية 27. [↑](#footnote-ref-143)
144. () صفوة التفاسير 1/91. [↑](#footnote-ref-144)
145. ()التبيان في تفسير غريب القرآن، ص97. [↑](#footnote-ref-145)
146. () صفوة التفاسير 1/91. [↑](#footnote-ref-146)
147. () تفسير ابن عثيمين 2/126. [↑](#footnote-ref-147)
148. () تفسير ابن عثيمين 2/129. [↑](#footnote-ref-148)
149. ()تفسير السعدي 1/71. [↑](#footnote-ref-149)
150. () تفسير آيات الأحكام 1/130. [↑](#footnote-ref-150)
151. ()تفسير السعدي 1/71. [↑](#footnote-ref-151)
152. () تفسير ابن عثيمين 2/130. [↑](#footnote-ref-152)
153. () فالمسلمون في أقطار الدنيا كلها يتجهون إلى قبلة واحدة، هذا توحيد، ولا سيما أنهم يتجهون هذا الاتجاه، ويتحدون هذا الاتحاد في أعظم مشعر عملي، أو في أعظم فريضة عملية ــــ وهي الصلاة، فيدل هذا على أن الشرع يراعي مراعاة تامة توحيد المسلمين في دينهم، وتوحيدهم في الاتجاه البدني، وكذلك في الاتجاه القلبي الفكري. تفسير ابن عثيمين 2/130. [↑](#footnote-ref-153)
154. ()تفسير السعدي 1/71. [↑](#footnote-ref-154)
155. () تفسير ابن عثيمين 2/131. [↑](#footnote-ref-155)
156. () تفسير آيات الأحكام 1/129. [↑](#footnote-ref-156)
157. () تفسير ابن عثيمين 2/131. [↑](#footnote-ref-157)
158. ()تفسير السعدي 1/71. [↑](#footnote-ref-158)
159. ()الصفات المنفية: كل صفة صُدِّرت بما يدل على النفي بأيّ أداة كانت، مثل قوله تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة: 255]، وقوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ [الفرقان: 58]، وقوله تعالى: ﴿وما مسنا من لغوب﴾ [ق: 38]، وقوله تعالى: ﴿ولم يعيَ بخلقهن﴾ [الأحقاف: 33]، واعلم أن الصفات المنفية لا يراد بها مجرد النفي، وإنما يراد بها مع النفي: ضدها، فإذا قال الله تعالى عن نفسه: ﴿وما مسنا من لغوب﴾ [ق: 38] فالمراد: نفي اللغوب، وإثبات كمال قوته، وقدرته.تفسير ابن عثيمين 2/131. [↑](#footnote-ref-159)
160. ()تفسير السعدي 1/72. [↑](#footnote-ref-160)
161. () تفسير ابن عثيمين 2/136. [↑](#footnote-ref-161)
162. ()تفسير السعدي 1/72. [↑](#footnote-ref-162)
163. () تفسير ابن عثيمين 2/137. [↑](#footnote-ref-163)
164. ()تفسير السعدي 1/72. [↑](#footnote-ref-164)
165. ()سورة الجاثية: الآية 23. [↑](#footnote-ref-165)
166. () تفسير ابن عثيمين 2/137. [↑](#footnote-ref-166)
167. () سورة آل عمران: 96. [↑](#footnote-ref-167)
168. () تفسير ابن عثيمين 2/137. [↑](#footnote-ref-168)
169. () التحرير والتنوير 2/30. [↑](#footnote-ref-169)
170. () تفسير الرازي 4/82. [↑](#footnote-ref-170)
171. () سورة آل عمران: الآية 103. [↑](#footnote-ref-171)
172. () سورة الحج: الآية 26. [↑](#footnote-ref-172)
173. () سورة العنكبوت: الآية 56. [↑](#footnote-ref-173)
174. () تفسير الرازي 4/82. [↑](#footnote-ref-174)
175. () تفسير ابن عثيمين 2/138. [↑](#footnote-ref-175)
176. ()فاليهود يرون النصارى ليسوا على شيء من الدين، والنصارى يرون اليهود ليسوا على شيء من الدين أيضاً، كل منهم يضلل الآخر فيما بينهم، كل واحد منهم يرى أن الآخر ليس على ملة صحيحة، ولهذا قال تعالى: ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ [البقرة: 145]، فقبلة اليهود إلى بيت المقدس ــــ إلى الصخرة، وقبلة النصارى إلى المشرق يتجهون نحو الشمس، لكنهم على الإسلام يد واحدة بعضهم لبعض وليّ، كما قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾ [المائدة: 51]، لأنهم كلهم أعداء للإسلام . [↑](#footnote-ref-176)
177. () تفسير ابن عثيمين 2/139. [↑](#footnote-ref-177)
178. ()تفسير السعدي 1/72. [↑](#footnote-ref-178)
179. () سورة الاعراف: الآية 157. [↑](#footnote-ref-179)
180. () تفسير ابن عثيمين 2/142. [↑](#footnote-ref-180)
181. ()تفسير السعدي 1/72. [↑](#footnote-ref-181)
182. () تفسير ابن عثيمين 2/143. [↑](#footnote-ref-182)
183. () سورة يونس: الآية 32. [↑](#footnote-ref-183)
184. () تفسير ابن عثيمين 2/143. [↑](#footnote-ref-184)
185. ()تفسير السعدي 1/72. [↑](#footnote-ref-185)
186. () تفسير ابن عثيمين 2/144. [↑](#footnote-ref-186)
187. ()تفسير السعدي 1/72. [↑](#footnote-ref-187)
188. () يعني ما وجه الله العباد إليه شرعاً، وما وجههم إليه قدراً، الوجهة القدرية معروفة: فمن الناس من يهديه الله تعالى فيكون اتجاهه إلى الحق، ومن الناس من يُخذَل فيَضل، ويكون اتجاهه إلى الباطل، فالوجهة التي يتبعها المشركون، واليهود، والنصارى، وما أشبه ذلك هذه وجهة قدرية، أما شرعية فلا، لأن الله ما شرع الكفر أبداً، ولا شرع شيئاً من خصال الكفر، والوجهة الشرعية: اختلاف الشرائع بين الناس، فلا تظن أن اختلاف الشريعة الإسلامية عن غيرها معناه أنها ليست حقاً، فإنها الحق من الله. تفسير ابن عثيمين 2/147. [↑](#footnote-ref-188)
189. ()تفسير السعدي 1/72. [↑](#footnote-ref-189)
190. () تفسير ابن عثيمين 2/148. [↑](#footnote-ref-190)
191. () أخرجه النسائي في سننه، حديث رقم (864 )، وصححه الشيخ الالباني. [↑](#footnote-ref-191)
192. ()تفسير السعدي 1/72. [↑](#footnote-ref-192)
193. () تفسير ابن عثيمين 2/148. [↑](#footnote-ref-193)
194. ()تفسير السعدي 1/73. [↑](#footnote-ref-194)
195. () تفسير ابن عثيمين 2/151. [↑](#footnote-ref-195)
196. () فالمسجد محترم معظم، حتى ما حوله صار محترماً معظماً، فالبلد كله آمن حتى الأشجار التي لا إحساس لها آمنة في هذا المكان، ولهذا حرم النبي صلى الله عليه وسلم أن يختلى خلاها، أو يعضد شوكها راجع البخاري ص144، كتاب جزاء الصيد، باب 10: لا يحل القتال بمكة، حديث رقم 1834،، أو يقطع شجرها،راجع البخاري ص12، كتاب العلم، باب 39: كتابة العلم، حديث رقم 112، كل هذا لاحترام هذا المكان، وتعظيمه. [↑](#footnote-ref-196)
197. ()تفسير السعدي 1/73. [↑](#footnote-ref-197)
198. () تفسير ابن عثيمين 2/152. [↑](#footnote-ref-198)
199. ()تفسير السعدي 1/73. [↑](#footnote-ref-199)
200. () تفسير ابن عثيمين 2/158. [↑](#footnote-ref-200)
201. ()تفسير السعدي 1/73. [↑](#footnote-ref-201)
202. () سورة فاطر: الآية 28. [↑](#footnote-ref-202)
203. () تفسير ابن عثيمين 2/156. [↑](#footnote-ref-203)
204. () تفسير القرطبي 2/170. [↑](#footnote-ref-204)
205. ()تفسير السعدي 1/73. [↑](#footnote-ref-205)
206. () تفسير القرطبي 2/170. [↑](#footnote-ref-206)
207. ()تفسير ابن عثيمين 2/161. [↑](#footnote-ref-207)
208. () تفسير القرطبي 2/170. [↑](#footnote-ref-208)
209. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-209)
210. ()تفسير ابن عثيمين 2/162. [↑](#footnote-ref-210)
211. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-211)
212. () فالشريعة متضمنة للحكمة تضمناً كاملاً، فما من شيء من مأموراتها، ولا منهياتها، إلا وهو مشتمل على الحكمة، ولهذا لما قالت المرأة لعائشة رضي الله عنها: «ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»، فبينت الحكمة من ذلك، وهو طاعة الله، ورسوله، وهذه حكمة لازمة في كل حكم سواء عقل معناه، أو لم يُعقَل. [↑](#footnote-ref-212)
213. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-213)
214. () وهو مما يدل على نقص الإنسان، حيث كان الأصل فيه الجهل، قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ [النحل: 78]، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ [النحل: 78]، فبين طرق العلم: ﴿السمع والبصر﴾، وبهما الإدراك، و ﴿الأفئدة﴾، وبها الوعي، والحفظ [↑](#footnote-ref-214)
215. ()تفسير ابن عثيمين 2/165. [↑](#footnote-ref-215)
216. () تفسير القرطبي 2/171. [↑](#footnote-ref-216)
217. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-217)
218. () تفسير القرطبي 2/171. [↑](#footnote-ref-218)
219. (1) أخرجه البخاري: 9/121، كتاب التوحيد، باب 15: قول الله تعالى: (ويحذركم الله نفسه)، حديث رقم 7405. [↑](#footnote-ref-219)
220. () تفسير القرطبي 2/172. [↑](#footnote-ref-220)
221. () أخرجه ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (3793). [↑](#footnote-ref-221)
222. () أخرجه الحاكم في مستدركه، رقم الحديث (1824).وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». [↑](#footnote-ref-222)
223. () سورة الكهف: الآية 28. [↑](#footnote-ref-223)
224. () تفسير القرطبي 2/172. [↑](#footnote-ref-224)
225. ()تفسير ابن عثيمين 2/167. [↑](#footnote-ref-225)
226. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-226)
227. () سورة الضحى: الآية 11. [↑](#footnote-ref-227)
228. () أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (6478). [↑](#footnote-ref-228)
229. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-229)
230. () سورة الكهف: الآية 110. [↑](#footnote-ref-230)
231. () تفسير القرطبي 2/172. [↑](#footnote-ref-231)
232. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-232)
233. ()تفسير ابن عثيمين 2/170. [↑](#footnote-ref-233)
234. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-234)
235. ()تفسير ابن عثيمين 2/173. [↑](#footnote-ref-235)
236. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-236)
237. () أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب 17: بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، حديث رقم 918. [↑](#footnote-ref-237)
238. ()تفسير السعدي 1/74. [↑](#footnote-ref-238)
239. ()تفسير ابن عثيمين 2/174. [↑](#footnote-ref-239)
240. () معيته تعالى نوعان: النوع الأول: عامة لجميع الخلق، ومقتضاها الإحاطة بهم علماً، وقدرة، وسلطاناً، وسمعاً، وبصراً، وغير ذلك من معاني ربوبيته، لقوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ [المجادلة: 7].  
     والنوع الثاني: خاصة، ومقتضاها مع الإحاطة: النصر، والتأييد، وهي نوعان: مقيدة بوصف، كقوله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: 128]، ومقيدة بشخص، كقوله تعالى لموسى، وهارون: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: 46]، وقوله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: 40]. [↑](#footnote-ref-240)
241. () تفسير القرطبي 2/173. [↑](#footnote-ref-241)
242. ()تفسير ابن عثيمين 2/176. [↑](#footnote-ref-242)
243. ()سورة آل عمران: الآية 169. [↑](#footnote-ref-243)
244. ()تفسير ابن عثيمين 2/177. [↑](#footnote-ref-244)
245. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-245)
246. () تفسير القرطبي 2/173. [↑](#footnote-ref-246)
247. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-247)
248. ()تفسير ابن عثيمين 2/180. [↑](#footnote-ref-248)
249. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-249)
250. () تفسير القرطبي 2/173. [↑](#footnote-ref-250)
251. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-251)
252. () تفسير القرطبي 2/174. [↑](#footnote-ref-252)
253. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-253)
254. () تفسير القرطبي 2/174. [↑](#footnote-ref-254)
255. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-255)
256. () تفسير القرطبي 2/174. [↑](#footnote-ref-256)
257. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-257)
258. () تفسير القرطبي 2/174. [↑](#footnote-ref-258)
259. () أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (1283). [↑](#footnote-ref-259)
260. ()تفسير ابن عثيمين 2/181. [↑](#footnote-ref-260)
261. () تفسير القرطبي 2/175. [↑](#footnote-ref-261)
262. () أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (2573). [↑](#footnote-ref-262)
263. () أخرجه ابن ماجه في سننه، رقم الحديث (1600). [↑](#footnote-ref-263)
264. ()تفسير ابن عثيمين 2/181. [↑](#footnote-ref-264)
265. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-265)
266. () تفسير القرطبي 2/176. [↑](#footnote-ref-266)
267. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-267)
268. () تفسير القرطبي 2/176. [↑](#footnote-ref-268)
269. () أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب 2: مَا يُقَالُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، حديث رقم 1009. [↑](#footnote-ref-269)
270. ()تفسير السعدي 1/75. [↑](#footnote-ref-270)
271. () تفسير القرطبي 2/177. [↑](#footnote-ref-271)
272. ()تفسير ابن عثيمين2/183. [↑](#footnote-ref-272)
273. () تفسير القرطبي 2/177. [↑](#footnote-ref-273)
274. () تفسير آيات الأحكام 1/143. [↑](#footnote-ref-274)
275. ()تفسير السعدي 1/76. [↑](#footnote-ref-275)
276. () اسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده 45/363، حديث(27367). وقال الألباني الحديث "صحيح" (الإرواء: 4/269 - 270). [↑](#footnote-ref-276)
277. () أخرجه البخاري: 3/6، كتاب العمرة، باب 10: يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج حديث رقم 1790. [↑](#footnote-ref-277)
278. () تفسير آيات الأحكام 1/142. [↑](#footnote-ref-278)
279. () تفسير ابن عثيمين 2/188. [↑](#footnote-ref-279)
280. ()تفسير السعدي 1/76. [↑](#footnote-ref-280)
281. () تفسير آيات الأحكام 1/142. [↑](#footnote-ref-281)
282. () تفسير ابن عثيمين 2/188. [↑](#footnote-ref-282)
283. () تفسير القرطبي 2/183. [↑](#footnote-ref-283)
284. () تفسير آيات الأحكام 1/152. [↑](#footnote-ref-284)
285. () تفسير ابن عثيمين 2/190. [↑](#footnote-ref-285)
286. ()تفسير السعدي 1/77. [↑](#footnote-ref-286)
287. () إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ الْمِصْرِيِّينَ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ، أخرجه الحاكم في مستدركه: 1/182، حديث (346). [↑](#footnote-ref-287)
288. () تفسير آيات الأحكام 1/152. [↑](#footnote-ref-288)
289. () تفسير ابن عثيمين 2/191. [↑](#footnote-ref-289)
290. () والبيان ينقسم إلى قسمين: بيان مفصل، وبيان مجمل، فالمجمل هي القواعد العامة في الشريعة، والمفصل هو أن يبين الله سبحانه وتعالى قضية معينة مفصلة مثل آيات الفرائض في الأحكام، فإنها مفصلة مبيّنة لا يشذ عنها إلا مسائل قليلة، وهناك آيات مجملة عامة مثل: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ [المائدة: 1]: فهو بيان عام، وكذلك بعض القصص يذكرها الله سبحانه وتعالى مفصلة، وأحياناً مجملة، وكل هذا يعتبر بياناً [↑](#footnote-ref-290)
291. () تفسير ابن عثيمين 2/198. [↑](#footnote-ref-291)
292. ()تفسير السعدي 1/77. [↑](#footnote-ref-292)
293. () تفسير ابن عثيمين 2/198. [↑](#footnote-ref-293)
294. ()تفسير السعدي 1/77. [↑](#footnote-ref-294)
295. () تفسير ابن عثيمين 2/204. [↑](#footnote-ref-295)
296. ()تفسير السعدي 1/77. [↑](#footnote-ref-296)
297. ()سورة الاعراف: الآية 38. [↑](#footnote-ref-297)
298. ()سورة البقرة: الآية 166. [↑](#footnote-ref-298)
299. ()سورة غافر: الآية 49. [↑](#footnote-ref-299)
300. ()تفسير السعدي 1/77. [↑](#footnote-ref-300)
301. () تفسير ابن عثيمين 2/205. [↑](#footnote-ref-301)
302. ()تفسير السعدي 1/77. [↑](#footnote-ref-302)
303. () تفسير ابن عثيمين 2/208. [↑](#footnote-ref-303)
304. ()تفسير السعدي 1/77. [↑](#footnote-ref-304)
305. ()سورة ابراهيم: الآية 48. [↑](#footnote-ref-305)
306. ()تفسير السعدي 1/77. [↑](#footnote-ref-306)
307. ()أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (153). [↑](#footnote-ref-307)
308. ()تفسير السعدي 1/78. [↑](#footnote-ref-308)
309. ()تفسير ابن عثيمين 2/210. [↑](#footnote-ref-309)
310. ()تفسير السعدي 1/78. [↑](#footnote-ref-310)
311. ()تفسير ابن عثيمين 2/210. [↑](#footnote-ref-311)
312. ()تفسير السعدي 1/78. [↑](#footnote-ref-312)
313. () سورة يونس: الآية 22. [↑](#footnote-ref-313)
314. () سورة الشورى: الآية 32. [↑](#footnote-ref-314)
315. ()تفسير ابن عثيمين 2/213. [↑](#footnote-ref-315)
316. ()تفسير السعدي 1/78. [↑](#footnote-ref-316)
317. ()تفسير ابن عثيمين 2/214. [↑](#footnote-ref-317)
318. ()تفسير السعدي 1/78. [↑](#footnote-ref-318)
319. () تفسير القرطبي 2/203. [↑](#footnote-ref-319)
320. ()تفسير ابن عثيمين 2/225. [↑](#footnote-ref-320)
321. () تفسير القرطبي 2/203. [↑](#footnote-ref-321)
322. ()تفسير السعدي 1/79. [↑](#footnote-ref-322)
323. () تفسير القرطبي 2/203. [↑](#footnote-ref-323)
324. () ايسر التفاسير 1/143. [↑](#footnote-ref-324)
325. () تفسير القرطبي 2/204. [↑](#footnote-ref-325)
326. ()تفسير السعدي 1/79. [↑](#footnote-ref-326)
327. () ايسر التفاسير 1/143. [↑](#footnote-ref-327)
328. ()تفسير ابن عثيمين 2/226. [↑](#footnote-ref-328)
329. () تفسير القرطبي 2/204. [↑](#footnote-ref-329)
330. ()تفسير السعدي 1/79. [↑](#footnote-ref-330)
331. () تفسير القرطبي 2/204. [↑](#footnote-ref-331)
332. ()تفسير السعدي 1/79. [↑](#footnote-ref-332)
333. () تفسير القرطبي 2/205. [↑](#footnote-ref-333)
334. ()تفسير السعدي 1/79. [↑](#footnote-ref-334)
335. () تفسير القرطبي 2/205. [↑](#footnote-ref-335)
336. ()تفسير ابن عثيمين 2/226. [↑](#footnote-ref-336)
337. () تفسير القرطبي 2/206. [↑](#footnote-ref-337)
338. ()تفسير ابن عثيمين 2/229. [↑](#footnote-ref-338)
339. ()تفسير السعدي 1/79. [↑](#footnote-ref-339)
340. ()تفسير ابن عثيمين 2/229. [↑](#footnote-ref-340)
341. () تفسير القرطبي 2/206. [↑](#footnote-ref-341)
342. ()تفسير ابن عثيمين 2/229. [↑](#footnote-ref-342)
343. () تفسير القرطبي 2/206. [↑](#footnote-ref-343)
344. ()تفسير ابن عثيمين 2/229. [↑](#footnote-ref-344)
345. () تفسير القرطبي 2/206. [↑](#footnote-ref-345)
346. () سورة ابراهيم: الآية 22. [↑](#footnote-ref-346)
347. () ايسر التفاسير 1/143. [↑](#footnote-ref-347)
348. ()تفسير ابن عثيمين 2/229. [↑](#footnote-ref-348)
349. () تفسير القرطبي 2/207. [↑](#footnote-ref-349)
350. () سورة الأعراف: الآية 40. [↑](#footnote-ref-350)
351. ()تفسير ابن عثيمين 2/235. [↑](#footnote-ref-351)
352. ()تفسير السعدي 1/80. [↑](#footnote-ref-352)
353. () تفسير القرطبي 2/208. [↑](#footnote-ref-353)
354. ()تفسير السعدي 1/80. [↑](#footnote-ref-354)
355. ()تفسير ابن عثيمين 2/235. [↑](#footnote-ref-355)
356. ()تفسير السعدي 1/80. [↑](#footnote-ref-356)
357. () تفسير القرطبي 2/208. [↑](#footnote-ref-357)
358. () أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، باب 13: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم 2020. [↑](#footnote-ref-358)
359. ()تفسير السعدي 1/80. [↑](#footnote-ref-359)
360. ()سورة ص: الآية 76. [↑](#footnote-ref-360)
361. ()سورة البقرة: الآية 109. [↑](#footnote-ref-361)
362. ()تفسير ابن عثيمين 2/236. [↑](#footnote-ref-362)
363. () سورة الملك: الآية 27. [↑](#footnote-ref-363)
364. ()تفسير ابن عثيمين 2/238. [↑](#footnote-ref-364)
365. ()تفسير السعدي 1/80. [↑](#footnote-ref-365)
366. () تفسير القرطبي 2/210. [↑](#footnote-ref-366)
367. ()تفسير السعدي 1/80. [↑](#footnote-ref-367)
368. ()تفسير ابن عثيمين 2/238. [↑](#footnote-ref-368)
369. ()سورة الاعراف: الآية 200. [↑](#footnote-ref-369)
370. () تفسير القرطبي 2/210. [↑](#footnote-ref-370)
371. ()تفسير السعدي 1/80. [↑](#footnote-ref-371)
372. ()تفسير ابن عثيمين 2/243. [↑](#footnote-ref-372)
373. () تفسير القرطبي 2/211. [↑](#footnote-ref-373)
374. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-374)
375. ()تفسير ابن عثيمين 2/243. [↑](#footnote-ref-375)
376. () تفسير القرطبي 2/211. [↑](#footnote-ref-376)
377. ()تفسير ابن عثيمين 2/243. [↑](#footnote-ref-377)
378. () تفسير القرطبي 2/214. [↑](#footnote-ref-378)
379. ()تفسير ابن عثيمين 2/244. [↑](#footnote-ref-379)
380. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-380)
381. ()تفسير ابن عثيمين 2/248. [↑](#footnote-ref-381)
382. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-382)
383. ()تفسير ابن عثيمين 2/248. [↑](#footnote-ref-383)
384. () تفسير آيات الأحكام 1/166. [↑](#footnote-ref-384)
385. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-385)
386. ()سورة الاعراف الآية 157. [↑](#footnote-ref-386)
387. () تفسير آيات الأحكام 1/167. [↑](#footnote-ref-387)
388. () في ضلال القرآن 1/157. [↑](#footnote-ref-388)
389. ()سورة البقرة: الآية173. [↑](#footnote-ref-389)
390. () سورة المائدة: الآية 3. [↑](#footnote-ref-390)
391. () سورة الأنعام: الآية 145. [↑](#footnote-ref-391)
392. ()اسرار البيان في التعبير القرآني ص57. [↑](#footnote-ref-392)
393. ()تفسير ابن عثيمين 2/248. [↑](#footnote-ref-393)
394. () تفسير آيات الأحكام 1/166. [↑](#footnote-ref-394)
395. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-395)
396. ()تفسير ابن عثيمين 2/248. [↑](#footnote-ref-396)
397. () تفسير آيات الأحكام 1/166. [↑](#footnote-ref-397)
398. ()تفسير ابن عثيمين 2/248. [↑](#footnote-ref-398)
399. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-399)
400. ()تفسير ابن عثيمين 2/248. [↑](#footnote-ref-400)
401. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-401)
402. ()تفسير ابن عثيمين 2/249. [↑](#footnote-ref-402)
403. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-403)
404. ()تفسير ابن عثيمين 2/256. [↑](#footnote-ref-404)
405. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-405)
406. ()تفسير ابن عثيمين 2/262. [↑](#footnote-ref-406)
407. ()تفسير السعدي 1/82. [↑](#footnote-ref-407)
408. ()تفسير ابن عثيمين 2/262. [↑](#footnote-ref-408)
409. ()تفسير السعدي 1/82. [↑](#footnote-ref-409)
410. ()الناس في كتمان ما أنزل الله ثلاثة أقسام:  
     القسم الأول: من يكتم العلم بخلاً به، ومنعاً لانتفاع الناس به.  
     والقسم الثاني: من يكتم العلم، ولا يبينه إلا لغرض دنيوي من مال، أو جاه، أو رئاسة، أو غير ذلك.  
     والقسم الثالث: من يكتم العلم بخلاً به، ولا يبينه إلا لغرض دنيوي، فيجمع بين الأمرين، وهذا شر الأقسام، وهو المذكور في الآية التي نحن بصددها [↑](#footnote-ref-410)
411. ()تفسير السعدي 1/82. [↑](#footnote-ref-411)
412. ()تفسير ابن عثيمين 2/263. [↑](#footnote-ref-412)
413. ()تفسير السعدي 1/82. [↑](#footnote-ref-413)
414. ()سورة المطففين: الآية 15. [↑](#footnote-ref-414)
415. ()تفسير ابن عثيمين 2/264. [↑](#footnote-ref-415)
416. ()تفسير السعدي 1/82. [↑](#footnote-ref-416)
417. ()تفسير ابن عثيمين 2/264. [↑](#footnote-ref-417)
418. ()سورة المؤمنون: الآية 108. [↑](#footnote-ref-418)
419. ()سورة النساء: الآية 56. [↑](#footnote-ref-419)
420. ()سورة محمد: الآية 15. [↑](#footnote-ref-420)
421. ()سورة الحج: الآيات 19ــ22. [↑](#footnote-ref-421)
422. ()تفسير ابن عثيمين 2/269. [↑](#footnote-ref-422)
423. ()تفسير السعدي 1/81. [↑](#footnote-ref-423)
424. ()سورة البقرة: الآية173. [↑](#footnote-ref-424)
425. () سورة النساء: الآية100. [↑](#footnote-ref-425)
426. ()اسرار البيان في التعبير القرآني ص33. [↑](#footnote-ref-426)
427. ()تفسير ابن عثيمين 2/270. [↑](#footnote-ref-427)
428. () البحر المحيط في التفسير2/130. [↑](#footnote-ref-428)
429. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-429)
430. () تفسير ابن عثيمين 2/284. [↑](#footnote-ref-430)
431. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-431)
432. () راجع صحيح ابن حبان 1/287 - 289، باب: ما جاء في الطاعات وثوابها، ذكر الاستحباب للمرء إن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها، حديث رقم 362، وفي سنده إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال فيه أبو حاتم: "أظنه لم يطلب العلم، وهو كذاب"، وقال علي بن الحسين بن الجنيد: "صدق أبو حاتم، ينبغي إن لا يحدث عنه" (كتاب الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم 2/142 - 143)، وقال الذهبي: "والصواب: إبراهيم بن هشام أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان، فلم يصب" (ميزان الاعتدال 4/378)، وأخرجه الحاكم من طريق آخر عن أبي ذر وسكت عنه وقال الذهبي السعدي ليس بثقة (المستدرك 2/597، كتاب التاريخ)، ففي سنده يحيى بن سعيد القرشي البصري - وقيل: الكوفي -، قال ابن حبان فيه: "شيخ يروي عن ابن جريج المقلوبات، وعن غيره من الثقات الملزقات، لا يحل الاحتجاج به إذا إنفرد" (كتاب المجروحين 3/129)، وقال ابن عدي: "وهذا حديث منكر من هذا الطريق" (الكامل في الضعفاء 9/106)، لكن بالنسبة لعدد الرسل فقد أخرجه الحاكم في مستدركه من حديث أبي أمامه رضي الله عنه، ثم قال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، وأقره الذهبي (المستدرك على الصحيحين 2/262، كتاب التفسير، بسم الله الرحمن الرحيم، من سورة البقرة)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة المجلد السادس، القسم الأول ص358 - 359، حديث رقم 2668، وأما بالنسبة لعدد الإنبياء، فقد جاء من عدة طرق كلها فيها مقال، وقال الألباني: "فهو صحيح لغيره" (المجلد السادس، القسم الأول، ص363). [↑](#footnote-ref-432)
433. () سورة غافر: الآية78. [↑](#footnote-ref-433)
434. () سورة آل عمران: الآية92. [↑](#footnote-ref-434)
435. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-435)
436. () تفسير ابن عثيمين 2/289. [↑](#footnote-ref-436)
437. () فإذا قال قائل: إذا كان مؤتي المال للسائلين من أهل البر فكيف يتفق، والتحذير من سؤال الناس؟ فالجواب: إنه لا معارضة، لإن الجهة منفكة، فالممدوح: المعطي، والمحذَّر: السائل المعطى، فإذا إنفكت الجهة فلا تعارض، فلو رأيت مبتلى بهذه المهنة - وهي مهنة سؤال الناس - فأعطه إذا سألك، ثم إنصحه، وحذره، لتكون مؤتياً للمال، وناصحاً للسائل، لإن بعض الناس - والعياذ بالله - نعلم علم اليقين - أو يغلب على الظن المؤكد - إنه غني، وإنما سأل الناس تكثراً، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم إن: «من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً، فليستقل، أو ليستكثر»، وإنه «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم» . [↑](#footnote-ref-437)
438. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-438)
439. () تفسير ابن عثيمين 2/290. [↑](#footnote-ref-439)
440. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-440)
441. () تفسير ابن عثيمين 2/290. [↑](#footnote-ref-441)
442. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-442)
443. () تفسير ابن عثيمين 2/291. [↑](#footnote-ref-443)
444. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-444)
445. () تفسير ابن عثيمين 2/293. [↑](#footnote-ref-445)
446. () سورة البقرة: الآيتان155ــ157. [↑](#footnote-ref-446)
447. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-447)
448. () تفسير القرطبي 2/243. [↑](#footnote-ref-448)
449. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-449)
450. () تفسير القرطبي 2/243. [↑](#footnote-ref-450)
451. ()تفسير السعدي 1/83. [↑](#footnote-ref-451)
452. () تفسير ابن عثيمين 2/294. [↑](#footnote-ref-452)
453. () تفسير ابن عثيمين 2/298. [↑](#footnote-ref-453)
454. () تفسير آيات الأحكام 1/186. [↑](#footnote-ref-454)
455. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-455)
456. () تفسير ابن عثيمين 2/298. [↑](#footnote-ref-456)
457. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-457)
458. () تفسير آيات الأحكام 1/186. [↑](#footnote-ref-458)
459. () تفسير ابن عثيمين 2/299. [↑](#footnote-ref-459)
460. () تفسير آيات الأحكام 1/186. [↑](#footnote-ref-460)
461. () تفسير ابن عثيمين 2/299. [↑](#footnote-ref-461)
462. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-462)
463. () تفسير ابن عثيمين 2/299. [↑](#footnote-ref-463)
464. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-464)
465. () سورة المائدة: الآية 45. [↑](#footnote-ref-465)
466. () أخرجه البخاري: 9/5، كتاب الديات، باب 6: قول الله 0ان النفس بالنفس والعين بالعين)، حديث رقم 6878. [↑](#footnote-ref-466)
467. () تفسير ابن عثيمين 2/301. [↑](#footnote-ref-467)
468. () أخرجه البخاري: 3/121، كتاب الخصومات، باب 1: ما يذكر في الأشخاص، والخصومة بين المسلم واليهود، حديث رقم 2413. [↑](#footnote-ref-468)
469. () تفسير ابن عثيمين 2/301. [↑](#footnote-ref-469)
470. () تفسير آيات الأحكام 1/186. [↑](#footnote-ref-470)
471. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-471)
472. () وهل له أن يعفو مجاناً؟ الجواب: نعم، له ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى ندب إلى العفو فقال: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ [البقرة: 237]، وقال تعالى: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ [التغابن: 14]، وقال في وصف أهل الجنة: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ [آل عمران: 134]. [↑](#footnote-ref-472)
473. () تفسير آيات الأحكام 1/186. [↑](#footnote-ref-473)
474. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-474)
475. () سورة الشورى: الآية 40. [↑](#footnote-ref-475)
476. () فإذا كان في العفو إصلاح، مثل أن يكون القاتل معروفاً بالصلاح، ولكن بدرت منه هذه البادرة النادرة، ونعلم، أو يغلب على ظننا أنا إذا عفونا عنه استقام، وصلحت حاله، فالعفو أفضل لا سيما إن كان له ذرية ضعفاء، ونحو ذلك، وإذا علمنا أن القاتل معروف بالشر، والفساد، وإن عفونا عنه لا يزيده إلا فساداً، وإفساداً فترك العفو عنه أولى، بل قد يجب ترك العفو عنه.تفسير ابن عثيمين 2/302. [↑](#footnote-ref-476)
477. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-477)
478. () وهي نكرة تعم القليل، والكثير، لأنها في سياق الشرط، وعلى هذا فلو كان لأحد ورثة المقتول جزء من ألف جزء من التركة، ثم عفا عن القصاص انسحب العفو على الجميع، لأن الجزء الذي عفا عنه لا قصاص فيه، والقصاص لا يتبعض، إذ لا يمكن قتل القاتل إلا جزءاً من ألف جزء منه. تفسير ابن عثيمين 2/302. [↑](#footnote-ref-478)
479. () تفسير ابن عثيمين 2/302. [↑](#footnote-ref-479)
480. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-480)
481. () تفسير ابن عثيمين 2/302. [↑](#footnote-ref-481)
482. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-482)
483. () صفوة التفاسير 1/106. [↑](#footnote-ref-483)
484. () ايسر التفاسير 1/157. [↑](#footnote-ref-484)
485. () تفسير ابن عثيمين 2/303. [↑](#footnote-ref-485)
486. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-486)
487. () تفسير ابن عثيمين 2/303. [↑](#footnote-ref-487)
488. () ايسر التفاسير 1/157. [↑](#footnote-ref-488)
489. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-489)
490. () فإن قيل: كيف يكون لنا في القصاص حياة مع أننا قتلنا القاتل، فزدنا إزهاق نفس أخرى؟فالجواب: نعم، يكون لنا في القصاص حياة بأن القتلة إذا علموا أنه سيقتص منهم امتنعوا عن القتل، فكان في ذلك تقليل للقتل، وحياة للأمة، ولهذا جاءت منكرة للدلالة على عظم هذه الحياة، فالتنكير هنا للتعظيم ــــ يعني حياة عظيمة شاملة للمجتمع كله، أما بالنسبة للقاتل فيقتل، لكن قتل القاتل حياة للجميع.تفسير ابن عثيمين 2/304. [↑](#footnote-ref-490)
491. () تفسير آيات الأحكام 1/186. [↑](#footnote-ref-491)
492. () تفسير ابن عثيمين 2/305. [↑](#footnote-ref-492)
493. () تفسير القرطبي 2/256. [↑](#footnote-ref-493)
494. () تفسير ابن عثيمين 2/305. [↑](#footnote-ref-494)
495. ()تفسير السعدي 1/84. [↑](#footnote-ref-495)
496. () تفسير القرطبي 2/256. [↑](#footnote-ref-496)
497. () سورة البقرة: الآية 21. [↑](#footnote-ref-497)
498. () تفسير ابن عثيمين 2/305. [↑](#footnote-ref-498)
499. () واختلف العلماء ــــ رحمهم الله ــــ هل هذا منسوخ بآيات المواريث، أم هو محكم، وآيات المواريث خصصت؟ على قولين، فأكثر العلماء على أنه منسوخ، ولكن القول الراجح أنه ليس بمنسوخ، لإمكان التخصيص، فيقال: إن قوله تعالى: ﴿للوالدين والأقربين﴾ مخصوص بما إذا كانوا وارثين، بمعنى أنهم إذا كانوا وارثين فلاوصية لهم اكتفاءً لما فرضه الله لهم من المواريث، وتبقى الآية على عمومها فيمن سوى الوارث. [↑](#footnote-ref-499)
500. ()تفسير السعدي 1/85. [↑](#footnote-ref-500)
501. () سورة البقرة: الآية 98. [↑](#footnote-ref-501)
502. () الموسوعة القرآنية وخصائص السور1/269. [↑](#footnote-ref-502)
503. () ايسر التفاسير 1/159. [↑](#footnote-ref-503)
504. () ولكن النصوص تدل على أن من حضره الموت ينقسم إلى قسمين: الأول: من بقي معه عقله ووعيه، فوصيته نافذة حسب الشروط الشرعية. الثاني: من فقد وعيه وعقله، فلا تصح وصيته. تفسير ابن عثيمين 2/307. [↑](#footnote-ref-504)
505. ()لكن هذا مقيد بحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «أتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قال: فالشطر؟ قال: لا، قال: فالثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير»، وعلى هذا فلا يزاد في الوصية على ثلث المال، فتكون الآية مقيدة بالحديث. تفسير ابن عثيمين 2/307. [↑](#footnote-ref-505)
506. ()تفسير السعدي 1/85. [↑](#footnote-ref-506)
507. () فأما من ترك مالاً قليلاً فالأفضل أن لا يوصي إذا كان له ورثة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» . تفسير ابن عثيمين 2/307. [↑](#footnote-ref-507)
508. () تفسير ابن عثيمين 2/308. [↑](#footnote-ref-508)
509. () لأن صلة الرحم من أفضل الأعمال المقربة إلى الله، فهذه إحدى أمهات المؤمنين أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم: أنها أعتقت جارية لها، فقال: «أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك» أخرجه البخاري 3/159، كتاب الهبة، باب 15: هبة المرأة لغير زوجها...، حديث رقم 2592،، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم صلة الرحم أعظم أجراً من العتق. تفسير ابن عثيمين 2/308. [↑](#footnote-ref-509)
510. ()تفسير السعدي 1/85. [↑](#footnote-ref-510)
511. () تفسير ابن عثيمين 2/308. [↑](#footnote-ref-511)
512. ()تفسير السعدي 1/85. [↑](#footnote-ref-512)
513. () تفسير ابن عثيمين 2/311. [↑](#footnote-ref-513)
514. ()تفسير السعدي 1/85. [↑](#footnote-ref-514)
515. () تفسير ابن عثيمين 2/311. [↑](#footnote-ref-515)
516. ()وهذا يشمل ما إذا كان قبل موت الموصي، أو بعده مثاله قبل موت الموصي: أن يستشهد الموصي، أو يستكتب شخصاً لوصيته، فيجد فيها جوراً، أو معصية، فيصلح ذلك، ومثاله بعد موته: أن يُطَّلع على وصية له تتضمن ما ذُكر فتُصْلح، مثال ذلك أن يوصي لوارث، فيُطَّلع على ذلك بعد موته، فتُصْلح الوصية إما باستحلال الوارث الرشيد، وإما بإلغائها إذا لم يمكن. تفسير ابن عثيمين 2/314. [↑](#footnote-ref-516)
517. () تفسير القرطبي2/270. [↑](#footnote-ref-517)
518. () تفسير ابن عثيمين 2/314. [↑](#footnote-ref-518)
519. () تفسير القرطبي2/270. [↑](#footnote-ref-519)
520. () تفسير ابن عثيمين 2/318. [↑](#footnote-ref-520)
521. () الموسوعة القرآنية وخصائص السور1/269. [↑](#footnote-ref-521)
522. () تفسير ابن عثيمين 2/318. [↑](#footnote-ref-522)
523. ()تفسير السعدي 1/86. [↑](#footnote-ref-523)
524. () تفسير ابن عثيمين 2/318. [↑](#footnote-ref-524)
525. ()تفسير السعدي 1/86. [↑](#footnote-ref-525)
526. () سورة الأنعام: الآية 71. [↑](#footnote-ref-526)
527. ()تفسير السعدي 1/86. [↑](#footnote-ref-527)
528. () سورة محمد: الآية 12. [↑](#footnote-ref-528)
529. () تفسير آيات الأحكام 1/218. [↑](#footnote-ref-529)
530. () سورة النساء: الآية 131. [↑](#footnote-ref-530)
531. () تفسير ابن عثيمين 2/324. [↑](#footnote-ref-531)
532. ()وحالات المرض ثلاث:الأولى: أن لا يضره الصوم، ولا يشق عليه، فلا رخصة له في الفطر.  
     الثانية: أن يشق عليه، ولا يضره، فالصوم في حقه مكروه، لأنه لا ينبغي العدول عن رخصة الله.الثالثة: أن يضره الصوم، فالصوم في حقه محرم، لقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ [النساء: 29]تفسير ابن عثيمين 2/325. [↑](#footnote-ref-532)
533. ()تفسير السعدي 1/86. [↑](#footnote-ref-533)
534. () ووجه الدلالة أن الله سبحانه وتعالى جعل الإطعام عديلاً للصيام حين التخيير بينهما، فإذا تعذر الصيام وجب عديله، ولهذا ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية في الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يطيقان الصيام، فيطعمان عن كل يوم مسكيناً. أخرجه البخاري: 6/25، كتاب التفسير، باب 24: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام... )، حديث رقم 4505. [↑](#footnote-ref-534)
535. () تفسير ابن عثيمين 2/329. [↑](#footnote-ref-535)
536. () تفسير القرطبي 2/289. [↑](#footnote-ref-536)
537. () تفسير ابن عثيمين 2/330. [↑](#footnote-ref-537)
538. () من هذه الفوائد:

     1- يعود الصائم الخشية من الله تعالى في السر والعلن.

     2- كسر حدة الشهوة، ولذا أرشد العازب إلى الصوم.

     3- يربي الشفقة والرحمة في النفس.

     4- فيه المساواة بين الأغنياء والفقراء والأشراف والأوضاع.

     5- تعويد الأمة النظام والوحدة والوئام.

     6- يذهب المواد المترسبة في البدن، وبذلك تتحسن صحة الصائم. ايسر التفاسير 1/162. [↑](#footnote-ref-538)
539. () أخرجه النسائي في سننه، حديث رقم (2105)، وقال الشيخ الالباني صحيح بما بعده. [↑](#footnote-ref-539)
540. () تفسير ابن عثيمين 2/337. [↑](#footnote-ref-540)
541. () سورة يونس: الآية 101. [↑](#footnote-ref-541)
542. () تفسير ابن عثيمين 2/337. [↑](#footnote-ref-542)
543. () عن ابنِ عمر، قال: تراءى الناسُ الهِلالَ، فأخبرتُ رسولَ الله -صلَّى الله عليه وسلم- أني رأيتُه فَصَامَ وأمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ.سنن أبي داود: كتاب الصيام، باب 14: في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان، حديث رقم 2342. [↑](#footnote-ref-543)
544. () تفسير ابن عثيمين 2/339. [↑](#footnote-ref-544)
545. () إرادة الله تعالى تنقسم إلى نوعين:

     إرادة كونية: وهي التي بمعنى المشيئة، ويلزم منها وقوع المراد سواء كان مما يحبه الله، أو مما لا يحبه الله، ومنها قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ [الأنعام: 125]، وهذه الآية، كقوله تعالى: ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ [الأنعام: 39].

     وإرادة شرعية: بمعنى المحبة، ولا يلزم منها وقوع المراد، ولا تتعلق إلا فيما يحبه الله عز وجل، ومنها قول الله تبارك وتعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً \* يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ [النساء: 27، 28].تفسير ابن عثيمين 2/339.

     وإرادة شرعية: بمعنى المحبة، ولا يلزم منها وقوع المراد، ولا تتعلق إلا فيما يحبه الله عز وجل، ومنها قول الله تبارك وتعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً \* يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ [النساء: 27، 28] [↑](#footnote-ref-545)
546. () أخرجه البخاري: باب الدين يسر 1/16، حديث (39). [↑](#footnote-ref-546)
547. () أخرجه البخاري: 1/25، كتاب العلم، باب 11: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة، حديث رقم 69. [↑](#footnote-ref-547)
548. () أخرجه البخاري 1/54، كتاب الوضوء، باب 58: صب الماء على البول في المسجد، حديث رقم 220. [↑](#footnote-ref-548)
549. () تفسير ابن عثيمين 2/340. [↑](#footnote-ref-549)
550. ()تفسير السعدي 1/86. [↑](#footnote-ref-550)
551. () والمشروع في هذا التكبير أن يقول الإنسان: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد»، وإن شاء أوتر فقال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد»، وإن شاء أوتر باعتبار الجميع فقال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد»، فالأمر في هذا واسع - ولله الحمد. تفسير ابن عثيمين 2/340. [↑](#footnote-ref-551)
552. () تفسير القرطبي 2/307. [↑](#footnote-ref-552)
553. () تفسير ابن عثيمين 2/341. [↑](#footnote-ref-553)
554. () سورة البقرة: الآية 172. [↑](#footnote-ref-554)
555. () سورة المؤمنون: الآية51. [↑](#footnote-ref-555)
556. () تفسير ابن عثيمين 2/344. [↑](#footnote-ref-556)
557. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-557)
558. () تفسير ابن عثيمين 2/344. [↑](#footnote-ref-558)
559. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-559)
560. () فإن قال قائل: ما الجواب عن قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد \* إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ [ق~: 16، 17]ــــ وهذا عام؟ فالجواب أن المراد بالقرب في هذا الآية قرب ملائكته بدليل قوله تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ [ق~: 17]، ومثلها قوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم \* وأنتم حينئذ تنظرون \* ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ [الواقعة: 83 ــــ 85]: فإن المراد بها قرب الملائكة الذين يقبضون الروح.فإن قال قائل: كيف الجمع بين قربه جل وعلا وعلوه؟ فالجواب: أن الله أثبت ذلك لنفسه ــــ أعني القرب، والعلو، ولا يمكن أن يجمع الله لنفسه بين صفتين متناقضتين، ولأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فهو قريب في علوه عليٌّ في دنوه. تفسير ابن عثيمين 2/345. [↑](#footnote-ref-560)
561. () تفسير ابن عثيمين 2/345. [↑](#footnote-ref-561)
562. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-562)
563. () تفسير ابن عثيمين 2/345. [↑](#footnote-ref-563)
564. () لأنه تعالى قد يؤخر إجابة المسألة ليزداد الداعي تضرعاً إلى الله، وإلحاحاً في الدعاء، فيقوى بذلك إيمانه، ويزداد ثوابه، أو يدخره له يوم القيامة، أو يدفع عنه من السوء ما هو أعظم فائدة للداعي، وهذا هو السر - والله أعلم - في قوله تعالى: ﴿أجيب دعوة الداع﴾. تفسير ابن عثيمين 2/345. [↑](#footnote-ref-564)
565. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-565)
566. () تفسير ابن عثيمين 2/345. [↑](#footnote-ref-566)
567. () فمن تعبد لله سبحانه وتعالى وهو ضعيف الإيمان بأن يكون عنده تردد - والعياذ بالله - أو شك فإنه لا ينفعه، أو يكون عنده إنكار، كما يفعل المنافقون: فإنهم يتعبدون إلى الله عز وجل ظاهراً، لكنهم ليس عندهم إيمان، فلا ينفعهم. تفسير ابن عثيمين 2/346. [↑](#footnote-ref-567)
568. () تفسير ابن عثيمين 2/351. [↑](#footnote-ref-568)
569. () وقد ظن بعض الناس أنه لا يجوز أن يستمتع بشيء من زوجته حتى يعلن النكاح ــــ وليس بصحيح لكن هنا شيء يخشى منه، وهو الجماع، فإنه ربما يحصل حمل، وإذا حصل حمل مع تأخر الدخول ربما يحصل في ذلك ريبة، فإذا خشي الإنسان هذا الأمر فليمنع نفسه لئلا يحصل ريبة عند العامة. [↑](#footnote-ref-569)
570. () تفسير ابن عثيمين 2/351. [↑](#footnote-ref-570)
571. () تفسير القرطبي 2/317. [↑](#footnote-ref-571)
572. () تفسير ابن عثيمين 2/351. [↑](#footnote-ref-572)
573. () تفسير القرطبي 2/317. [↑](#footnote-ref-573)
574. () تفسير ابن عثيمين 2/352. [↑](#footnote-ref-574)
575. () سورة المزمل: الآية 20. [↑](#footnote-ref-575)
576. () تفسير القرطبي 2/317. [↑](#footnote-ref-576)
577. () تفسير ابن عثيمين 2/352. [↑](#footnote-ref-577)
578. () تفسير القرطبي 2/317. [↑](#footnote-ref-578)
579. () تفسير ابن عثيمين 2/352. [↑](#footnote-ref-579)
580. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-580)
581. () تفسير ابن عثيمين 2/352. [↑](#footnote-ref-581)
582. () ذكروا عن عمر رضي الله عنه أنه لا يجامع إلا إذا اشتهى الولد، ولكن مع ذلك لا يمنع الإنسان أن يفعل لمجرد الشهوة، فهذا ليس فيه منع، بل فيه أجر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا:يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: نعم، أرأيتم لو وضعها في حرام أيكون عليه وزر؟ قالوا: نعم، قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب 16: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم 1006. [↑](#footnote-ref-582)
583. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-583)
584. () تفسير ابن عثيمين 2/354. [↑](#footnote-ref-584)
585. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-585)
586. ()لأن الله أباح الجماع حتى يتبين الفجر، ولازم هذا أنه إذا أخر الجماع لم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر، وقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يصبح جنباً من جماع أهله، ثم يصوم. أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب 25: اغتسال الصائم، حديث رقم 1931. [↑](#footnote-ref-586)
587. () وذكر أهل العلم أن بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ثلاثة فروق: الفرق الأول: أن الصادق مستطير معترض من الجنوب إلى الشمال، والكاذب مستطيل ممتد من الشرق إلى الغرب. والفرق الثاني: أن الصادق متصل بالأفق، وذاك بينه، وبين الأفق ظلمة. والفرق الثالث: أن الصادق يمتد نوره، ويزداد، والكاذب يزول نوره ويظلم. [↑](#footnote-ref-587)
588. () تفسير ابن عثيمين 2/357. [↑](#footnote-ref-588)
589. () اخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (1957). [↑](#footnote-ref-589)
590. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-590)
591. () تفسير ابن عثيمين 2/358. [↑](#footnote-ref-591)
592. () لأن الله ذكر حكمه عقب آية الصيام، وهذا هو الذي جاءت به السنة: فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتكف إلا في العشر الأواخر من رمضان حين قيل له: «إن ليلة القدر في العشر الأواخر». [↑](#footnote-ref-592)
593. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-593)
594. () تفسير ابن عثيمين 2/359. [↑](#footnote-ref-594)
595. () تفسير القرطبي 2/337. [↑](#footnote-ref-595)
596. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-596)
597. () وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: « الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ» اخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (52). [↑](#footnote-ref-597)
598. ()تفسير السعدي 1/87. [↑](#footnote-ref-598)
599. () قال تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر﴾ [فصلت: 37]، وقال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ [الروم: 21]، وقال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ [الروم: 20]... إلخ، وكانت المخلوقات آية لله، لأنه لا أحد من المخلوق يصنع مثلها. تفسير ابن عثيمين 2/360. [↑](#footnote-ref-599)
600. () فإنها آيات شرعية تدل على كمال منزلها سبحانه وتعالى في العلم، والرحمة، والحكمة، وغير ذلك مما تقتضيه أحكامها، وأخبارها، وجه ذلك أنك إذا تأملت أخبارها وجدتها في غاية الصدق، والبيان، والمصلحة، كما قال تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ [يوسف: 3]، فأحسن الأخبار أخبار الوحي: القرآن، وغيره، وأصلحها للخلق قصصها، كما قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: 111]، وإذا تأملت أحكامها وجدتها أحسن الأحكام، وأصلحها للعباد في معاشهم، ومعادهم، كما قال تعالى: ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ [المائدة: 50]، ولو اجتمع الخلق على أن يأتوا بمثل الأحكام التي أنزلها الله على رسوله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بهذا تكون آية على ما تقتضيه من صفات الله . تفسير ابن عثيمين 2/360. [↑](#footnote-ref-600)
601. () سورة فاطر: الآية 28. [↑](#footnote-ref-601)
602. () تفسير ابن عثيمين 2/366. [↑](#footnote-ref-602)
603. ()تفسير السعدي 1/88. [↑](#footnote-ref-603)
604. () سورة النساء: الآية 5. [↑](#footnote-ref-604)
605. ()تفسير السعدي 1/88. [↑](#footnote-ref-605)
606. () التحرير والتنوير 2/192. [↑](#footnote-ref-606)
607. ()تفسير السعدي 1/88. [↑](#footnote-ref-607)
608. () سورة النساء: الآية 105. [↑](#footnote-ref-608)
609. () لكن لو تبين له بعد الحكم أنه لا حق له وجب عليه الرجوع إلى الحق، مثاله: لو فرض أن غريمه أوفاه، لكنه ناسٍ، وحلف أنه لم يوفه، وحُكم له فلا إثم عليه، لكن متى ذكر أنه قد أوفي وجب عليه رد المال إلى صاحبه. تفسير ابن عثيمين 2/367. [↑](#footnote-ref-609)
610. () تفسير ابن عثيمين 2/371. [↑](#footnote-ref-610)
611. ()تفسير السعدي 1/88. [↑](#footnote-ref-611)
612. () تفسير ابن عثيمين 2/371. [↑](#footnote-ref-612)
613. ()تفسير السعدي 1/88. [↑](#footnote-ref-613)
614. () تفسير ابن عثيمين 2/372. [↑](#footnote-ref-614)
615. ()تفسير السعدي 1/88. [↑](#footnote-ref-615)
616. () فإن هذه الآية كما تناولت البيوت الحسية كذلك أيضاً تناولت الأمور المعنوية، فإذا أردت أن تخاطب مثلاً شخصاً كبير المنزلة فلا تخاطبه بما تخاطب سائر الناس، ولكن ائت من الأبواب، لا تتجشم الأمر تجشماً، لأنك قد لا تحصل المقصود، بل تأتي من بابه بالحكمة، والموعظة الحسنة حتى تتم لك الأمور. تفسير ابن عثيمين 2/372. [↑](#footnote-ref-616)
617. () تفسير ابن عثيمين 2/373. [↑](#footnote-ref-617)
618. () تفسير آيات الأحكام 1/235. [↑](#footnote-ref-618)
619. () صفوة التفاسير 1/113. [↑](#footnote-ref-619)
620. ()تفسير السعدي 1/89. [↑](#footnote-ref-620)
621. () تفسير ابن عثيمين 2/375. [↑](#footnote-ref-621)
622. ()تفسير السعدي 1/89. [↑](#footnote-ref-622)
623. () تفسير ابن عثيمين 2/375. [↑](#footnote-ref-623)
624. () تفسير آيات الأحكام 1/235. [↑](#footnote-ref-624)
625. () تفسير ابن عثيمين 2/375. [↑](#footnote-ref-625)
626. ()وقد وردت آيات كثيرة توجه المؤمنين إلى ذلك، هي:

     قوله تعالى: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة: 229] وقوله تعالى: وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً [النساء: 14] وقوله تعالى: يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [النساء: 171] وقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [المائدة: 87] وقوله تعالى: وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأنعام: 141] وقوله تعالى: إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [الأعراف: 55] وقوله تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [الطلاق: 1] [↑](#footnote-ref-626)
627. ()تفسير السعدي 1/89. [↑](#footnote-ref-627)
628. () تفسير ابن عثيمين 2/379. [↑](#footnote-ref-628)
629. ()تفسير السعدي 1/89. [↑](#footnote-ref-629)
630. () تفسير ابن عثيمين 2/378. [↑](#footnote-ref-630)
631. ()وقال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون \* إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين﴾ [الأنبياء: 105، 106]، وقال موسى لقومه: ﴿استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ [الأعراف: 128]. تفسير ابن عثيمين 2/378. [↑](#footnote-ref-631)
632. () تفسير ابن عثيمين 2/379. [↑](#footnote-ref-632)
633. () تفسير آيات الأحكام 1/235. [↑](#footnote-ref-633)
634. () ولا يعارض هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم»، الممنوع هو ابتداء القتال لندخل مكة، فهذا حرام، ولا يجوز مهما كان الأمر، وأما إذا قاتلونا في مكة فإننا نقاتلهم من باب المدافعة. تفسير ابن عثيمين 2/379. [↑](#footnote-ref-634)
635. () تفسير ابن عثيمين 2/379. [↑](#footnote-ref-635)
636. () يكون القتال فرض عين ــــ وذلك في أربعة مواضع ــــ:

     الموضع الأول: إذا حضر صف القتال فإنه يكون فرض عين، ولا يجوز أن ينصرف، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار \* ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ [الأنفال: 15، 16]..  
     الموضع الثاني: إذا حصر بلده العدو فإنه يتعين القتال من أجل فكّ الحصار عن البلد، ولأنه يشبه من حضر صف القتال.

     الموضع الثالث: إذا احتيج إليه، إذا كان هذا الرجل يحتاج الناس إليه إمّا لرأيه، أو لقوته، أو لأيّ عمل يكون، فإنه يتعين عليه.

     الموضع الرابع: إذا استنفر الإمام الناس وجب عليهم أن يخرجوا، ولا يتخلف أحد، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة... ﴾ [التوبة: 38] إلى قوله تعالى: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم... ﴾ [التوبة: 39].وما سوى هذه المواضع فهو فرض كفاية. تفسير ابن عثيمين 2/380. [↑](#footnote-ref-636)
637. () تفسير ابن عثيمين 2/382. [↑](#footnote-ref-637)
638. ()التبيان في تفسير غريب القرآن، ص104. [↑](#footnote-ref-638)
639. () سورة الانفال: الآية 38. [↑](#footnote-ref-639)
640. () سورة المائدة: الآية34. [↑](#footnote-ref-640)
641. () تفسير ابن عثيمين 2/383. [↑](#footnote-ref-641)
642. ()تفسير السعدي 1/89. [↑](#footnote-ref-642)
643. () تفسير آيات الأحكام 1/236. [↑](#footnote-ref-643)
644. ()تفسير السعدي 1/89. [↑](#footnote-ref-644)
645. () تفسير ابن عثيمين 2/384. [↑](#footnote-ref-645)
646. ()تفسير السعدي 1/89. [↑](#footnote-ref-646)
647. () تفسير ابن عثيمين 2/387. [↑](#footnote-ref-647)
648. ()تفسير السعدي 1/89. [↑](#footnote-ref-648)
649. () تفسير ابن عثيمين 2/387. [↑](#footnote-ref-649)
650. () تفسير آيات الأحكام 1/236. [↑](#footnote-ref-650)
651. () تفسير ابن عثيمين 2/387. [↑](#footnote-ref-651)
652. ()تفسير السعدي 1/89. [↑](#footnote-ref-652)
653. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-653)
654. () سورة الفرقان: الآية 67. [↑](#footnote-ref-654)
655. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-655)
656. () تفسير ابن عثيمين 2/390. [↑](#footnote-ref-656)
657. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-657)
658. () أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب 22، ما يكره من قيل وقال، حديث رقم 6473. [↑](#footnote-ref-658)
659. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-659)
660. () تفسير ابن عثيمين 2/391. [↑](#footnote-ref-660)
661. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-661)
662. () تفسير ابن عثيمين 2/396. [↑](#footnote-ref-662)
663. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-663)
664. () تفسير ابن عثيمين 2/398. [↑](#footnote-ref-664)
665. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-665)
666. () بيان حكم الإحصار، وهو ذبح شاة من مكان الإحصار ثم التحلل بالحلق أو التقصير، ثم القضاء من قابل إن تيسر ذلك للعبد، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى هو وأصحابه العمرة التي صدوا فيها عن المسجد الحرام عام الحديبية.ايسر التفاسير 1/178. [↑](#footnote-ref-666)
667. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-667)
668. () تفسير ابن عثيمين 2/406. [↑](#footnote-ref-668)
669. () وهي إما صيام ثلاثة أيام، وإما إطعام ستة مساكين: لكل مسكين نصف صاع، وإما ذبح شاة تفرق على الفقراء ــــ كما بينت ذلك السنة ــــ، والسنة تبين القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: 44]، والتبيين يشمل تبيين اللفظ، وتبيين المعنى. تفسير ابن عثيمين 2/406. [↑](#footnote-ref-669)
670. () تفسير ابن عثيمين 2/407. [↑](#footnote-ref-670)
671. () أي أن يأتي الإنسان بالعمرة في أشهر الحج، ويتحلل منها، ويبقى حلاً إلى أن يأتي وقت الحج، وكانوا في أنه لا يجب على الإنسان أن يقترض للهدي إذا لم يكن معه ما يشتري به الهدي ــــ ولو كان غنياً - لقوله تعالى: ﴿فما استيسر من الهدي﴾.تفسير ابن عثيمين 2/408. [↑](#footnote-ref-671)
672. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-672)
673. () تفسير ابن عثيمين 2/409. [↑](#footnote-ref-673)
674. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-674)
675. ()أولها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها آخر أيام التشريق، لكن لا يصوم يوم العيد، لتحريم صومه، ولا ينبغي أن يصوم يوم عرفة، ليتفرغ للدعاء والذكر وهو نشيط، وعلى هذا فيجوز لمن كان عادماً للهدي من متمتع أو قارن أن يصوم من حين إحرامه بالعمرة. تفسير ابن عثيمين 2/409. [↑](#footnote-ref-675)
676. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-676)
677. () تفسير ابن عثيمين 2/409. [↑](#footnote-ref-677)
678. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-678)
679. () تفسير ابن عثيمين 2/410. [↑](#footnote-ref-679)
680. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-680)
681. () تفسير ابن عثيمين 2/411. [↑](#footnote-ref-681)
682. ()تفسير السعدي 1/90. [↑](#footnote-ref-682)
683. ()التبيان في تفسير غريب القرآن، ص105. [↑](#footnote-ref-683)
684. () ومنه قوله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ [البقرة: 198]، وقوله تعالى: لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ [الحج: 28]. [↑](#footnote-ref-684)
685. ()تفسير السعدي 1/91. [↑](#footnote-ref-685)
686. ()التبيان في تفسير غريب القرآن، ص104. [↑](#footnote-ref-686)
687. ()تفسير السعدي 1/91. [↑](#footnote-ref-687)
688. ()ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم﴾ [الحج: 29]، فسمى الله تعالى أفعال الحج نذوراً، ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾ [البقرة: 196]، فلم يبح الله تعالى الخروج من النسك إلا بالإحصار. تفسير ابن عثيمين 2/417. [↑](#footnote-ref-688)
689. () تفسير ابن عثيمين 2/418. [↑](#footnote-ref-689)
690. ()تفسير السعدي 1/91. [↑](#footnote-ref-690)
691. () تفسير ابن عثيمين 2/418. [↑](#footnote-ref-691)
692. ()والجدال إن كان لإثبات الحق، أو لإبطال الباطل فإنه واجب، وعلى هذا فيكون مستثنًى من هذا العموم، لقوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل: 125]، وأما الجدال لغير هذا الغرض فإنه محرم حال الإحرام. [↑](#footnote-ref-692)
693. ()تفسير السعدي 1/91. [↑](#footnote-ref-693)
694. () سورة طه: الآية 112. [↑](#footnote-ref-694)
695. () تفسير ابن عثيمين 2/419. [↑](#footnote-ref-695)
696. ()تفسير السعدي 1/91. [↑](#footnote-ref-696)
697. () تفسير ابن عثيمين 2/419. [↑](#footnote-ref-697)
698. ()تفسير السعدي 1/91. [↑](#footnote-ref-698)
699. () سورة الاعراف: الآية 26. [↑](#footnote-ref-699)
700. () تفسير ابن عثيمين 2/419. [↑](#footnote-ref-700)
701. ()تفسير السعدي 1/92. [↑](#footnote-ref-701)
702. ()أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب 6: ترك الحائض الصوم، حديث رقم 304.

     وإن المراد بنقص العقل هنا عقل الإدراك، فإن مناط التكليف عقل الإدراك، ومناط المدح عقل الرشد، ولهذا نقول: إن هؤلاء الكفار الأذكياء الذين هم في التصرف من أحسن ما يكون؟ نقول: هم عقلاء عقول إدراك، لكنهم ليسوا عقلاء عقول رشد، ولهذا دائماً ينعى الله عليهم عدم عقلهم، والمراد عقل الرشد الذي به يرشدون انظر: تفسير ابن عثيمين 2/420. [↑](#footnote-ref-702)
703. () تفسير ابن عثيمين 2/424. [↑](#footnote-ref-703)
704. ()تفسير السعدي 1/92. [↑](#footnote-ref-704)
705. () تفسير ابن عثيمين 2/425. [↑](#footnote-ref-705)
706. () وهو ركن من أركان الحج، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة»، لو قال قائل: إن قوله تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾ ليس أمراً بالوقوف بها.  
     فالجواب: أنه لم يكن أمراً بها، لأنها قضية مسلمة، ولهذا قال تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾. تفسير ابن عثيمين 2/425. [↑](#footnote-ref-706)
707. ()تفسير السعدي 1/92. [↑](#footnote-ref-707)
708. () الصلاة ذكر لله، بل هي روضة من رياض الذكر: فيها قراءة، وتكبير، وتسبيح، وقيام، وركوع، وسجود، وقعود، كل ذلك من ذكر الله: ذكر بالقلب، وباللسان، وبالجوارح، ثم من خاصية الصلاة أن كل عضو من أعضاء البدن له ذكر خاص به، وعبادة تتعلق به. تفسير ابن عثيمين 2/426. [↑](#footnote-ref-708)
709. () تفسير ابن عثيمين 2/426. [↑](#footnote-ref-709)
710. ()تفسير السعدي 1/92. [↑](#footnote-ref-710)
711. () تفسير ابن عثيمين 2/426. [↑](#footnote-ref-711)
712. () والهداية نوعان: هداية دلالة: وهذه عامة لكل أحد، فكل أحد قد بين الله له شريعته سواء وفِّقلاتباعها، أم لا، ودليلها قوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ [فصلت: 17]، وقوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ [الإنسان: 3]، والثاني: هداية توفيق بأن يوفق الله العبد لاتباع الهدى، ومنها قوله تعالى حين ذكر من ذكر من الأنبياء: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: 90]، وقوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص: 56] أي لا توفق للهدى من أحببته، أو من أحببت هدايته. تفسير ابن عثيمين 2/427. [↑](#footnote-ref-712)
713. () أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب 57: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، حديث رقم 4330. [↑](#footnote-ref-713)
714. () تفسير ابن عثيمين 2/429. [↑](#footnote-ref-714)
715. ()تفسير السعدي 1/92. [↑](#footnote-ref-715)
716. () تفسير ابن عثيمين 2/429. [↑](#footnote-ref-716)
717. ()تفسير السعدي 1/92. [↑](#footnote-ref-717)
718. () تفسير ابن عثيمين 2/434. [↑](#footnote-ref-718)